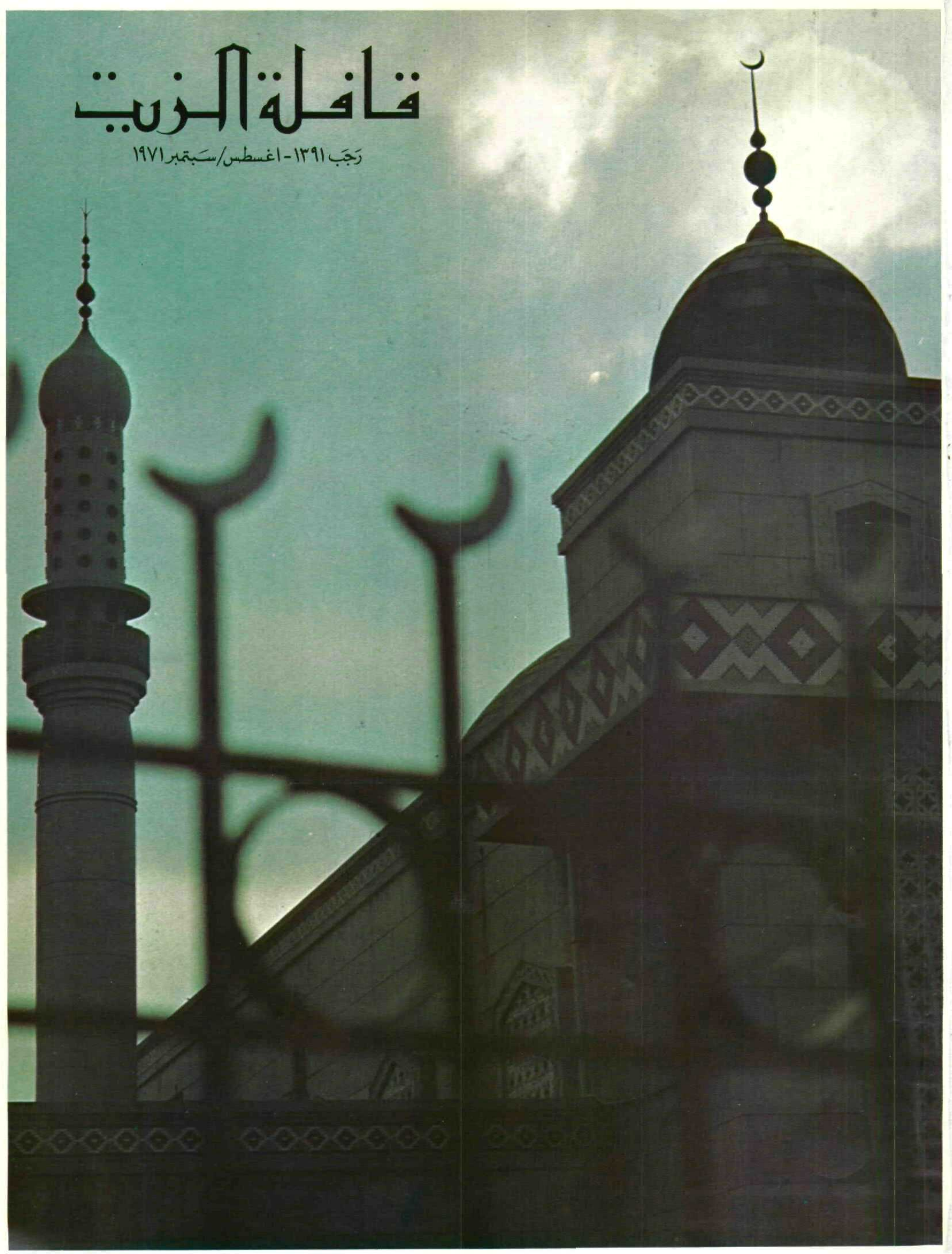

قافلة الزيت
رجب ١٣٩١ - اغسطس/سبتمبر ١٩٧١



مسجد عامر بالمصلين في «تيوان».
راجع مقال «حاضر الإسلام في تيوان»
تصوير: «راي كرانبورن»

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السابع   المجلد التاسع عشر

تصدر شهرياً عن
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

علوم

استطلاعات

المدير العام: مصطفى حسن الخان المدير المسؤول: علي حسن قنا ديلي
رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني ابوكشك

- كل ما ينشر في "قافلة الزيت" بغير أقلام هيئة التحرير يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا يعبر بالضرورة عن رأي "القافلة" أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "القافلة" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "القافلة" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها، وهي تؤثر تلقي النسخة الأصلية مطبوعة على الآلة الكاتبة، ومنقحة.
- يتم تنسيق المواضيع في كل عدد وفقاً لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع.
- تنقيح المقالات على النحو الذي تظهر فيه يجري عادة وفق ظروف يقتضيها نهج "القافلة".

التعليق على صورة الغلاف

منظر عام لمبنى مسجد « تايبيي » الشهير وهو أكبر مسجد في جزيرة « تيوان » بالصين الوطنية . راجع مقال « حاضر الاسلام في تيوان »
تصوير « راي كرانبورت »

حقائق في ثياب قصة ، وقصة في نطاق فصلين

بقلم الاستاذ أمين مدني

الفصل الأول

" من هو أول قائد سيره أول خليفة الى الشام ؟ "

حديث مع الزمن

كنت في ليلة من ليالي رمضان أتحدث مع بعض الأصدقاء فيما يتحدث به الناس بعد الافطار ، فاذا بجهاز التلفزيون الموضوع في جانب الغرفة يقدم أحد علمائنا الأفاضل ، الذي أخذ يتحدث عن مجد من أمجاد العرب في يوم من أيام الاسلام — يوم اليرموك ، ويقول على ما أذكر : أن « عمر بن الخطاب » لم يعزل « خالد بن الوليد » عن القيادة العامة في الشام لأن « أبو بكر الصديق » لم يول « خالد بن الوليد » قيادة عامة ، واذا بالحديث ينحصر في حدود الوقت المحدد للبرنامج ، واذا بأحد الأصدقاء يثير موضوع « اليرموك » ، فأدخل معه في نقاش يتعمق ويطول .. فنؤجله الى جلسة أخرى .

وفي ليلة من ليالي الشتاء وأنا أتقلب على فراشي عرض لي الموضوع كأنما كان البحث بالأمس ، فأخذت أفكر في أيام الاسلام وأمجاده ، وفي ذلك النصر المبين الذي أحرزه المسلمون في يوم اليرموك . وأخذت أيام الاسلام تتمثل لي صورا كلما حاولت التحقق من واحدة منها أزالتها أخرى واحتلت مكانها .

وأخيرا تخيلت لي صورة تمثل الزمن عملاقا قويا يدفع أمامه عجلة كأنها قاطرة ، وقد تكدست عليها أحمال ضخمة .. فأدهشتني صورة الزمن ، التي ظهرت على غير ما يصوره الخيال شيخا فانيا يتوكأ على عصاه .. ووجدتني أسأل العملاق :

— كيف لم تضعفك ملايين السنين التي مرت بك ؟

ماذا ؟ انني أسمع صوتا من بعيد يحمل جواب الزمن :

— ليست هذه السنون التي تتحدث عنها الا توقيتا وضعتموه يا أبناء « آدم » لحياتكم القصيرة ، فما دنياكم مع مجموعتها الفلكية الا عالم صغير من عوالم رب الوجود الكبير ! أتحسب ملك الخالق مقتصرا على دنياكم التي ستفنى كما فنيت دنا كثيرة ، منها ما هو أكبر من أرضكم هذه ، ومنها ما هو أصغر .. وانتهت عوالمها الى مصائرها ، كما ستنتهون يا أبناء آدم الى مصيركم ، ويبقى ملك الله العظيم ، وأبقى معه رمزا سرمديا !

لم يدم ذهولي طويلا ، فلقد تغلب عليه حرصي على الاستفادة من هذا المشهد الذي يصور الزمن يتحدث ويعظ ! فسألت العملاق :

— ما هذه الأحمال الضخمة التي تسير بها ؟

— انها أسراري .

ان العملاق لم يبخل علي بالجواب ، فلماذا لا أسأله عن يوم اليرموك وقيادة الجيوش الاسلامية في عهد أبي بكر الصديق ؟ فتوجهت اليه أسأله :

– هلا كشفت عن سر من أسرارك يوضح حقائق أمجاد الاسلام في ربوع سورية ، ويزيل رمال النسيان عن أبطال اليرموك وقادتهم ؟

– من أنت يا هذا حتى أفضي اليك بأسراري؟ عليك أن تسأل أصحاب هذه المؤلفات التي ملأت رفوف مكتبتك !

– هل تراهم يعلمون الحقيقة التي طويت مع غيرها من الحقائق التي تحمل أسرارها ؟

– حقا يا هذا ان حقائق الماضي الكاملة بعيدة المنال ، فقد يراها أحدكم من جانب ، بينما يراها الآخرون من جوانب أخرى . فعليك أن تسأل هؤلاء ، وتحاول الوصول الى الحقيقة . ألقيت نظرة سريعة على رفوف مكتبتي ، وعندما أرجعت البصر ، وجدت الاطار قد تبدلت في داخله المشاهد .. لم أجد العملاق وعجلته ، وانما وجدت شيخا أهدل الشعر ، أغبر ، مهلهل الثياب .

البلاذري الناقم

– من أنت أيها الشيخ الأشعث الأغبر ؟ وما الذي أتى بك لتقطع عليّ الحديث مع الزمن ؟

– أنا أحمد بن يحي البلاذري ، وأفكارك هي التي تخيلتني ، فماذا تريد مني ؟

– أريد أن أسألك عن أشياء كثيرة .

– لقد أتعبني الكثير من أمثالك في حياتي بأسئلتهم ، ولما سألتهم قضاء حوائجي تنكروا لشيخ جاوز الثمانين من عمره ! فهلا حررتني من أفكارك التي تحيط بي لأخلد الى الراحة والصمت ؟

– لماذا أنت ساخط على الحياة التي عشتها ؟ ألم تك ذا حظوة عند « المأمون » ؟ ألم تفتح لك أبواب « قصر الهناء » لتأخذ مكانك في مجلس « المتوكل » مع علية رجال العلم والشعر ، مثل : « البحتري » ، و « علي بن الجهم » ، و « الحسين بن الضحاك » ، و « علي بن ربّن » ، و « يعقوب بن السكيت » ، و « أبناء حمدون » ، وغيرهم ؟ ألم تكن أثيرا عند « المستعين » الذي أغدق عليك عطاياه ، ثم منحك سبعة آلاف دينار ونصحك أن تدخرها لتنفق منها بعده اذا ما جفاك الناس ، ولكنك لم تعمل بنصحه ، فأخذت بعده تسأل الوزراء « عبيد الله بن يحيى » و « اسماعيل بن بلبل » وغيرهما .. تمدح وتهجو !

ولماذا هذا التبرم من الرجوع الى علمك ؟ ألم يذكرك بخير مؤلفو التراجم ، ومحققو التاريخ من القرن الرابع الى يومنا هذا ؟ فهؤلاء هم كتاب القرن الرابع عشر من الهجرة يتحدثون عنك باعجاب ، بمن فيهم المستشرقون ! ألم يرضك كل هذا التقدير في حياتك وبعد مماتك ؟ ألم ..

لم يتركني البلاذري لأتم كلامي ، فقد بدا الغضب عليه ، وبدا كلامه زمجرة ، عندما قاطعني قائلا :

– كفى .. ان ما استفاده أولئك من علمي أكثر مما منحوه لي من عطاياهم ، وان ما قدمته لهؤلاء في مؤلفاتي أكثر مما تكلموا عنها .. فما جمعته في كتابي « فتوح البلدان » لم أحصل عليه بسهولة ، ولو لم تكن لي مكانة عند خلفاء بني العباس لما استطعت أن أحصل على بعض الحقائق التاريخية . أتحسب أننا أبناء القرن الثالث من الهجرة نملك ما تملكون من المؤلفات التي وفرتها مطابعكم للخاص والعام ؟ لقد كان المدونون في عصرنا أقل من القليل ، وكانت المدونات التي دونها سلفنا ، مثل : « عروة بن الزبير » ، و « ابن شهاب الزهري » ، و « محمد بن اسحاق » ، و « سيف بن عمر » ، و « الواقدي » ، وغيرهم ، أندر من حجارة القمر في عصركم ، فلقد احتضنت خزائن بني أمية مدونات المؤرخين الأوائل : « عروة بن الزبير » ، و « ابان بن عثمان » ، و « ابن شهاب الزهري » ، فلما دالت دولتهم تشتتت المدونات ، ولم يبق منها سوى تلك التي احتفظ بها أصحابها ، والتي عثر عليها خلفاء بني العباس الحريصون على العلم والمعرفة . ولم يكن حظ تاريخ « محمد بن اسحاق » الكبير الذي احتفظ به « المنصور » في خزانته بأفضل من حظ كثير من المدونات التي احتفظ بها خلفاء بني أمية . فلو لم يعن تلامذة محمد بن اسحاق بعلمه لضاع تراثه مع ما ضاع من تراث السلف الأول من المؤرخين ، فهل ترى من تكلم عن مؤلفاتي وفاها حقها ؟

ليتني لم أغضب الرجل ! انه شاعر هجاء ، وأخاف أن يتركني قبل أن أعرف منه بعض الحقائق التاريخية ، فعليّ أن أتلطف معه في سؤالي . قلت له :

– من هو أول قائد اسلامي وجهه أبو بكر الى الروم ؟

– لقد اختلفت الأقوال في ذلك ، والقول الراجح عندي هو أن أبا بكر الصديق عقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال ، هم : « خالد بن سعيد بن العاص » ، و « شرحبيل بن حسنة » ، و « عمرو بن العاص » . وكان عقد هذه الألوية يوم الخميس لمستهل صفر سنة ١٣هـ ، وذلك بعد مقام الجيوش معسكرين بالجرف المحرم كله ، و«أبو عبيدة عامر بن الجراح » يصلي بهم ، وقد أراد أبو بكر أن يعقد لأبي عبيدة عامر بن الجراح لواء ، فاستعفاه من ذلك . روى قوم : انه عقد له ، وليس ذلك بثبت ، ولكن « عمر » ولاه الشام كله حين استخلف . وذكر « أبو مخنف » : ان أبا بكر قال للأمراء : ان اجتمعتم على قتال فأميركم « أبو عبيدة » ، والا « فيزيد بن أبي سفيان » ، وذكر : ان « عمرو بن العاص » انما كان مددا للمسلمين وأميرا على من ضم اليه(١) . وقد سبق أن قلت لك : انني لا أرجح الرواية التي تقول : أن أبا بكر عقد لأبي عبيدة لواء .

– ولكن « أبو مخنف » لم يذكر « خالد بن سعيد » .

– بلى قد ذكره ، فقال : « ولما عقد أبو بكر لخالد بن سعيد ، كره عمر ذلك ، فكلم أبا بكر في عزله ، فوجه أبو بكر « أبو أروى الدوسي »

(١) فتوح البلدان .

لأخذ لوائه ، فلقيه بذى المروة(٢) ، فأخذ اللواء منه ، ووفد به على أبي بكر ، فدفعه أبو بكر الى « يزيد بن أبي سفيان » ، فسار به ، و « معاوية » أخوه يحمله بين يديه . ويقال : بل سلم اليه اللواء بذي المروة ، فمضى على جيش « خالد بن سعيد » ، وسار هذا الأخير « محتبسا في جيش » شرحبيل(٣) .

— ولكنك قلت قبلا عن « يزيد بن أبي سفيان » غير هذا .
— انني قدمت الرواية التي رجحتها ، وذكرت غيرها تتمة للخبر .
— هل أفهم من هذا ان كل واحد من أولئك القواد الثلاثة يعتبر أول قائد وطأ أرض الشام مجاهدا في عهد أبي بكر ؟
— لك أن تفهم ما تشاء ، فانني لم أذكر الروايات على اختلافها عبثا ، وانما ذكرتها ليبحث القارىء عن الحقيقة !
— ولكن غيرك ذكر عن خالد بن سعيد أكثر مما ذكرته أنت عنه ، وغير ما ذكرته .
— لقد أبديت لك رأيي ، وقلت لك : اني جمعت ما بلغني من الأقوال ، ثم انني لا ألزمك بأن تأخذ بأقوالي ، فاتركني ، وسل غيري .
— من أسأل يا أبا الحسن ؟
— عليك بالدينوري ، فلقد سمعت : انه ألف تاريخا عاما أسماه « الأخبار الطوال » .
— ولكن « الدينوري » يا أبا الحسن ! أوجز جدا في أخباره عندما تكلم عن فتوح الشام ، بينما أسهب في كلامه عن فتوح العراق ! فالذي قاله عن فتوح الشام : « ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد بن الوليد يأمره بالشخوص الى الشام ليمد أبا عبيدة عامر بن الجراح بمن معه من المسلمين ، فخلف خالد بن الوليد على « الحيرة » « عمرو بن حزم الانصاري » مع « المثنى »(٤) .
— لعل أصله الفارسي هو الذي جعله يعنى بتاريخ الفرس في العراق أكثر من تاريخ الروم في الشام ، فعليك بابن واضح « اليعقوبي » ، فهو مؤرخ رحالة قيل لي انه ألف تاريخا عاما .. فها هو قادم ، ولا أدري من أتى به ؟

اليعقوبيّ، المؤرخ الجغرافي

حيانا « اليعقوبي » تحية طيبة ، ثم التفت الي متسائلا عن المشكلة . ولم يخرج اليعقوبي في تحيته ، عن أسلوبه في التاريخ ، فأسلوبه لم يكن على غرار أسلوب معاصره البلاذري الذي يعتمد على سند الرواية ويذكر مصدرها .. فاليعقوبي لم يقتصر جهده على التاريخ فحسب ، بل جمع بين التاريخ والجغرافية ، ولم يقتصر في تاريخه على أحداث ما بعد الاسلام ، بل تحدث في تاريخ عن أحداث ما قبل الاسلام . وله غير تاريخه الذي بدأ فيه بآدم وانتهى بزمن « المعتمد على الله » العباسي سنة ٢٥٩هـ ، له غير ذلك كتاب « أخبار الأمم السالفة » ، وكتاب « مشاكل الناس لزمانهم » ، وله في الجغرافية « البلدان » ، و « المسالك والممالك » .

واليعقوبي في تاريخه يملي معلوماته املاء ، فهو لا يذكر نصا ، ولا يناقش خبرا ، ويحذف كل خبر لا يعجبه ، ولا يتعقب كل حقيقة بعدت عليه ، ولعل سعة الموضوعات التي ألف فيها ، وكثرة رحلاته جعلته يؤثر الاختصار . فعمّ أسأله ؟ !

لعلي أطلت صمتي ، ولعل اليعقوبي لاحظ الحيرة والتردد اللذين استوليا علي ، فبادرني بقوله :

— فيم تفكر يا هذا ؟
— انني أستعرض آثارك .
— وماذا تريد منها ؟
— أريد أن أعرف من هو أول قائد بعثه أول خليفة الى الروم في أرض الشام ؟
— ان أول قائد انتدبه أبو بكر بعد أن فكر في تطهير سورية العربية من النفوذ البيزنطي والقضاء على المؤامرات التي كانت تحاك ضد الاسلام هو : « خالد بن سعيد بن العاص » . وان سبب انتدابه قائدا يرجع الى مبادرته باعلان السمع والطاعة ، والاستجابة لدعوة أبي بكر لحرب الروم ، بعد أن اشتد الجدل بين أخيه « عمرو بن سعيد » وبين « عمر بن الخطاب » الذي اعترض على تولية « خالد بن سعيد » القيادة بعد أن عقد أبو بكر اللواء له ، فحل أبو بكر لواءه ، ودعا « يزيد بن أبي سفيان » و « أبو عبيدة عامر بن الجراح » و « شرحبيل بن حسنة » و « عمرو بن العاص » فعقد لهم ، وقال : اذا اجتمعتم فأمير الناس « أبو عبيدة »(٥) .
— ان الرجل كما يظهر في مؤلفه ، يسرد الأخبار حسب فهمه لها ، ولكن هذا لا يمنعني من أن أبدي له ملحوظاتي ، لقد قلت : ان أبا بكر عمل برأي عمر ، فحل لواء « خالد بن سعيد » ، وولى بدله أربعة قواد ، فهل تعني بذلك : أن أبا بكر ولى هؤلاء القواد الأربعة قيادة كانت لخالد بن سعيد وحده ؟ وهل كان عقد هذه الألوية في وقت واحد ؟

يخيل الي ان الرجل أبدى شيئا من الاهتمام بملحوظتي فكأنني أسمعه يتمتم قائلا :

— انني أتجنب كثرة الروايات ، وأذكر النتائج ، فالذي علمته أن أبا بكر حل لواء خالد بن سعيد ، وبعث جيوشا الى الشام ، وعلى رأس كل جيش قائد من هؤلاء القواد الأربعة .

وكأن اليعقوبي تنبه الى البلاذري ، وهو يهمس لي قائلا : ان اليعقوبي لا يريد أن يزيد شيئا على ما قاله أولا ، فالتفت اليه يسأله متحديا :

— كيف تنكر يا ابن البلاذري الرواية التي تقول بأن أبا بكر عقد لواء لأبي عبيدة عامر بن الجراح ، في الوقت الذي تقول فيه ان « خالد ابن الوليد » أتى « الجابية » وبها « أبو عبيدة »(٦) ؟ فمن بعث خالداً بن الوليد الى الشام؟ ومتى بعث ؟ أليس أبو بكر هو الذي بعث خالداً ؟ وأليس أبو عبيدة كان في الشام عندما وصل اليها خالد ؟ يظهر أن البلاذري يتحاشى الدخول مع اليعقوبي في جدل ، فقد التفت الي قائلا :

(٢) ذو المروة : قرية بوادي القرى — معجم ياقوت .
(٣) فتوح البلدان .
(٤) « الأخبار الطوال »
(٥) تاريخ اليعقوبي .
(٦) فتوح البلدان .

— اذا كان لا بد من الأخذ برواية الذين قالوا بأن أبا بكر بعث أبا عبيدة الى الشام ، فقد يكون ذلك بعد مسير « عمرو بن العاص » ، و « يزيد بن أبي سفيان » ، و « شرحبيل بن حسنة ». أما الذي لا مفر من التقيد به هو : أن الذي ولى « أبو عبيدة » الشام كله هو عمر بن الخطاب » . ويظهر أن اليعقوبي ساير رغبة البلاذري في العزوف عن النقاش ، فأخذ يبدي أسباب اقتصاره على بعض الأقوال وسرد الأحداث حسب فهمه لها :

— انني يا هذا لم أتفرغ للتاريخ فحسب ، بل شغل التأليف في الجغرافية الكثير من وقتي . وانني لم أتفرغ للتاريخ الاسلامي فحسب ، بل شغلت بأخبار ما قبل الاسلام . وانني لم أستقر في بلد واحد ، فلقد تنقلت من أقصى الشرق الاسلامي الى أقصى غربه بوسائل سفر متعبة . فلم تكن لي سعة من الوقت لأستقصي الأقوال ، فقد كان يكفيني منها الأقوال التي اقتنعت بها ، فاذا أردت المزيد وتقصي الروايات التي وردت في فتوح أبي بكر وعمر ، فهلم بنا الى فتى اسمه « محمد بن جرير الطبري » . فلقد شغل بالعلم وهو في سن الثانية عشرة ، ولقد عني بالرواية والرواة في تاريخه وتفسيره أكثر مما عني بها صاحبك البلاذري .

فهيا بنا الى ابن جرير ، ولعل البلاذري يرافقنا .

محمد بن جرير الطبري

لم تكن أجواء الخيال ، ولا عباب التصورات كالأجواء التي تحلق فيها الطائرات ، أو كالأمواج التي تمخرها بواخر العصر الحديث ، فلقد حملني الخيال ، ورفيقيّ : « اليعقوبي » و « البلاذري » الى « طبرستان » ، بمثل السرعة التي حمل بها عرش « بلقيس » الى « سليمان » . فاذا بي في صحن دار بسيطة تقع في حي جميل من أحياء مدينة طبرستان ، واذا بي أرى مجلسا يتصدره رجل وقور يحيط به نفر من الشيوخ . وراء كل واحد منهم جماعة من الناس . وخيل الي ، وأنا بين اقدام واحجام ، أن « اليعقوبي » يستحثني على دخول الغرفة . ولعل الحاح « اليعقوبي » علي بالدخول لفت انتباه الجالسين في الغرفة ، فرفعوا رؤوسهم ملقين علي نظرة فيها شيء من التساؤل ، فالتفت اليّ الرجل المتصدر في المجلس ، وقال مرحبا :

— تفضل يا هذا ، وليتفضل صاحباك معك بالجلوس .

وبعد أن استقر بنا الجلوس ، أخذ « ابن جرير الطبري » يقدم لنا من في مجلسه ، كأنه يريد أن نقدم له أنفسنا : هذا « السري بن يحيى » والذين من خلفه رجال سند . وهذا « شعيب بن ابراهيم » وخلفه « سيف ابن عمر الأسدي » المؤرخ المعروف ، وهذا « ابن حميد » وخلفه « سلمة » ومن ورائه « محمد بن اسحاق » صاحب التاريخ الكبير والسيرة الشهيرة ، وهذا « عمر بن شبة » ومن ورائه رجال سنده . فلم يك لي بد من تقديم « البلاذري » و « اليعقوبي » ، بعد أن عرفت نفسي بأنني قارىء من أبناء القرن الرابع عشر الهجري .

ثم قلت له :

— لقد جئتك يا أبا جعفر لأسألك : من هو أول قائد بعثه أبو بكر الصديق لفتح الشام ؟

— ألم يخبرك هذان العالمان ، مشيرا الى البلاذري واليعقوبي ، فلقد سمعت عنهما الكثير ؟

— لقد سألتهما ، وجئت بهما لأزداد ايضاحا .

— ماذا قالا لك ؟

وبعد أن سمع مني كل ما دار من حديث بيني وبين البلاذري واليعقوبي ، التفت الى « ابن شبة » طالبا منه أن يجيب بما عنده :

— أخبرنا بما تعلم يا عمر .

— لقد حدثتك ، يا أبا جعفر ، ان أول لواء عقده أبو بكر لواء « خالد بن سعيد بن العاص » ، ثم عزله قبل أن يسيره ، وولى « يزيد بن أبي سفيان » .

قلت :

— ولكن ، يا أبا جعفر ، ان اليعقوبي يقول : ان اللواء أخذ من خالد بن سعيد في « ذو المروة » ، أليس كذلك يا ابن واضح ؟

— نعم !

لم يجبني الطبري ، بل التفت الى « ابن اسحاق » ، وقال :

— ماذا تقول يا محمد ؟

— ان الذي بلغني ، يا أبا جعفر ، أن عمر بن الخطاب ذكر أبا بكر بموقف « خالد بن سعيد » من البيعة ، ولكن أبا بكر لم يأبه بذلك ، فكان خالد بن سعيد أول من استعمل على ربع من ربوع الشام ، فلم يزل عمر بن الخطاب يلح على أبي بكر ، حتى عزل خالد بن سعيد ، وأمرّ « يزيد بن أبي سفيان » (٧) .

قلت :

— أرجو منك يا أبا جعفر مزيدا من الايضاح ، فان اسحاق أوجز كثيرا .

نظر اليّ الطبري مبتسما ، ثم أخذ رسائل كانت قريبة منه ، وألقاها الى « السرى » ، قائلا :

— أرجو أن تقرأ عليه الرسائل التي بعثت بها اليّ يا « ابن يحيى » ، فأخذ السرى يقرأ الرسائل :

— « أمر أبو بكر خالداً بن سعيد أن ينزل « تيماء » ، وأن لا يبرحها ، وأن يدعو من حوله بالانضمام اليه ، وأن لا يقبل الا ممن لم يرتد ، ولا يقاتل الا من قاتله ، حتى يأتيه أمره . فأقام ، واجتمع اليه جموع كثيرة ، وبلغ الروم ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام اليهم ، فكتب خالد بن سعيد الى أبي بكر بذلك وبنزول من استنفرت الروم ، ونفر اليهم من : « بهراء » ، و « كلب » ، و « سليح » ، و « تنوخ » ، و « لخم » ، و « جذام » ، و « غسان » ، من دون « زيزاء » بثلاث ، فكتب اليه أبو بكر : أن اقدم ولا تحجم ، واستنصر الله . فسار اليهم خالد ، فلما دنا منهم ، تفرقوا وأعروا منزلهم ، فنزله ، ودخل عامة من تجمع له في الاسلام . وكتب خالد الى أبي بكر بذلك ، فكتب اليه أبو بكر : أقدم ، ولا تقتحمن حتى لا تؤتى

(٧) تاريخ الطبري .

من خلفك . فالتحم في معركة مع « باهان » أحد قواد الروم ، فهزمه فيما بين « آبل » و « زيزاء » و « القسطل » ، وكتب بذلك الى أبي بكر واستمده . فأمده أبو بكر بأوائل مستنفري اليمن ، وفيهم « ذو الكلاع » ، وبمن قدم مع « عكرمة » من « تهامة » ، و « عمان » ، و « البحرين » ، و « السرو » ، وبمن استبدل ، فسمي ذلك الجيش « جيش البدال » . وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام ، وعناه أمره (٨) ، فجهز جيشا بقيادة « عمرو بن العاص » ، وأمده بجيش بقيادة « الوليد بن عقبة » ، وأمّر « عمرو بن العاص » على « فلسطين » ، و « الوليد بن عقبة » على الأردن ، ودعا « يزيد بن سفيان » فأمّره على جند عظيم ، واستعمل « أبو عبيدة عامر بن الجراح » على من اجتمع ، وأمّره على « حمص » . وقدم « شرحبيل بن حسنة » وافدا من عند « خالد بن الوليد » ، فندب معه الناس ، ثم استعمله على عمل « الوليد » (٩) .

أما خالد بن سعيد ، فانه عندما وصل اليه « الوليد بن عقبة » ، وقدمت جنود المسلمين الذين كان أبو بكر قد أمدّه بهم ، وبلغه عن الأمراء وتوجههم اليه ، اقتحم على الروم طلب الحظوة ، وأعرى ظهره ، فاستطرد له « باهان » ، فأرز (١٠) هو ومن معه الى دمشق . واقتحم خالد في الجيش ، ومعه « ذو الكلاع » ، و « عكرمة » ، و « الوليد » ، حتى نزل « مرج الصفر » من بين « الراقوصة » و « دمشق » ، فانطوت مسالح (١١) « باهان » ، وأخذوا عليه الطرق دون أن يتسعر ، وزحف له « باهان » ، فوجد ابنه « سعيد بن خالد » يستمطره الناس ، فقتلوه . وأتى الخبر خالدا ، فخرج هاربا في جريدة ، فأفلت من أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والابل ، ولم تنته بخالد الهزيمة الا عند «ذي المروة » . وأقام « عكرمة » في الناس ردءا عنهم ، فرد « باهان » وجنوده أن يطلبوه ، وأقام عكرمة في الشام على « قريب » (١٢) الى أن قدم « شرحبيل بن حسنة » ، وتولى القيادة (١٣) .

ولسيف ابن عمر روايتان تضمنتا خبر عزل « خالد بن سعيد بن العاص » ونهايته . وقد جاء في احداهما : أن أبا بكر أمر خالدا بالبقاء في « ذو المروة » ، وان خالداً بن سعيد حصل بعد ذلك من أبي بكر على اذن بدخول المدينة ، فلما قدم على أبي بكر اعتذر له عن الهزيمة ، فقال له أبو بكر : أخطل وأنت امرؤ جبن لدى الحرب ؟ ، وقال عنه بعد أن خرج من عنده ، كان « عمر » و « علي » أعلما بخالد مني . ولو أطعتهما فيه اختشيته واتقيته (١٤) . وجاء في الرواية الأخرى : فلما قام عمر بن الخطاب رضي عن « خالد بن سعيد » و « الوليد بن عقبة » ، فأذن لهما بدخول المدينة . وكان أبو بكر قد منعهما لفرتهما التي فراها ، وردهما الى الشام ، وقال : « ليبلغني عنكما عناء ابلكما بلاء ، فانضما الى أي أمير من الأمراء أحببتما » . فلحقا بالناس ، فابليا ، وأغنيا (١٥) .

هل ترى يا أبا جعفر أن أوفق بين الروايتين ، فأقول : ان أبا بكر الصديق أذن « لخالد بن سعيد » بدخول المدينة ، وان عمر بن الخطاب أذن له بأن يلحق بجيوش الشام ، فاستشهد خالد بن سعيد ، وفي عنقه « الصمصامة » ، سيف « عمرو بن معدي كرب » ؟

— قل يا هذا ما تشاء ، فلقد تركت لقراء كتابي الاستنتاج . ولكن قل لي : من الذي قال لك : ان خالدا بن سعيد استشهد ، وفي عنقه الصمصامة ؟

— البلاذري ، وهو الذي نقل عن « هشام بن محمد الكلبي » ان « عمرو بن معدي كرب » وهب سيفه « الصمصامة » لخالد بن سعيد بن العاص ، وان خالدا استشهد وفي عنقه الصمصامة . ولم يزل « الصمصامة » يتوارثه آل سعيد بن العاص ، الى أن باعه « أيوب » حفيد سعيد بن العاص للخليفة العباسي « المهدي » بنيف وثمانين ألفا . وما زال خلفاء بني العباس يتوارثونه ، الى أن صار « للواثق » ، فدعى بصيقل ، وأمره أن يسقنه ، فلما فعل تغير (١٦) .

— ولكن قل لي يا أبا جعفر ، كيف يولي أبو بكر أمراء على مدن الشام وهي لا تزال في حوزة الروم ، فلقد قلت ذلك ، وقاله قبلك « البلاذري » و « اليعقوبي » عمن سبقهما ، وقال بعدك المؤرخون : ان أبا بكر ولّى « عمرو بن العاص » « فلسطين » ، و « أبو عبيدة بن الجراح » حمص الخ ؟! فهل تعنون : أن أبا بكر وجههم الى تلك الحواضر ، وجعل كل قائد ، فتح الحاضرة التي وجهه اليها ، أميرا عليها ، كما فعل في العراق ، عندما وجه « خالد بن الوليد » و « عياض بن غنم » ، اذ جعل امارة « الحيرة » لمن سبق اليها ، وأميرا على (١٧) صاحبه في بعض الروايات التي جمعتها ؟

— اسمع يا هذا . لقد قلت لك من قبل : استنتج كيف ما يحلو لك ، فانني أعلنت صراحة في مقدمة كتابي « تاريخ الأمم والملوك » ان الغاية التي استهدفتها في تاريخي حصرت جهدي في جمع كل رواية وصلت الي ، فأنا لم ابد رأيا الا نادرا ، لأنني تركت نقاش الرواية وتحليلها لمن يأتي من بعدي . فهذا ما لدي عن أول قائد وجهه أول خليفة الى الشام .

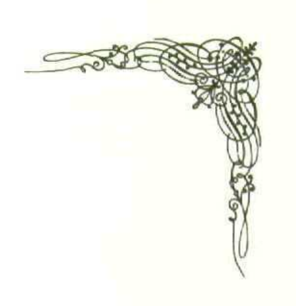
ونزولا على رأي « البلاذري » الذي همس في أذني :

— ان الرجل قد فصّل ما أوجزته لك ، فانا كما قلت في مقدمة كتابي : انني سقت حديث أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان ، واختصرته ، ورددت من بعضه على بعض (١٨) . فما قلته عن « خالد بن سعيد » وانتدابه لفتح الشام فصله أبو جعفر ، فخالد بن سعيد هو أول من انتدب لفتح الشام . ولقد وصلت الى علم أبي جعفر نصوص تؤكد أن « خالد بن سعيد » خاض حروبا في أرض الشام ، وانه لم يكن في مستوى سميه خالد بن الوليد ، فلقد خدعه « باهان » ، قائد الروم ، فهزمه . أما أنا ، ولعل اليعقوبي مثلي ، لم تصل الينا هذه النصوص ، فلو انها وصلت الينا ، لما تأخرنا عن ذكرها .. فعليك أن تسأله عن الشق الثاني من الموضوع الذي تبحث عنه .

— حقا ! ان أكثر ما وصل اليك والى اليعقوبي والى ابن جرير الطبري يؤكد أن أول قائد خاض معارك فتوح الشام في عهد أبي بكر الصديق هو خالد بن سعيد بن العاص . فعليّ أن أسأل عن حقيقة القيادة العامة في عهد أبي بكر رضي الله عنه ■

— البحث بقية —

(٨ و ٩) تاريخ بن جرير الطبري . (١٠) أرز : لاذ وتجمع وثبت (لسان العرب) . (١١) المسلحة : قوم في عدة بموضع رصد ، والجمع « مسالح » . (لسان العرب) . (١٢) لعله يقصد : قرب والقرب : البئر ، أو يقصد قليب فالقليب البئر أيضا ، أما قريب : أي الصخرة التي في بيت المقدس ، فلا أظنه يقصدها . (راجع لسان العرب) . (١٣ و ١٤) تاريخ بن جرير . (١٥) تاريخ بن جرير . (١٦) فتوح البلدان . (١٧) تاريخ بن جرير . (١٨) فتوح البلدان .



علمتني الحياة

للشاعر أنور العطار

ضبط النفس

علمتني الحياة أن أضبط النفس اذا ما التوت علي الأمور
وادلهمت خطوبها والرزايا وتتالت نذورها والشرور
فاذا هبت الرياح العواني لم أجد في مهبها ما يثير
وتوارت تلقاء صبري حياء وتساوى كبيرها والصغير

الصمت

علمتني الحياة أن من الصمت بيانا وحكمة وصوابا
في تضاعيفه المهابة تنساب ولا تعرف المهابة عابا
هو باب للعبقرية موصود وأعظم بالعبقرية بابا
فاذا جال كان أحكم رأيا واذا قال كان خيرا خطابا

العبادة

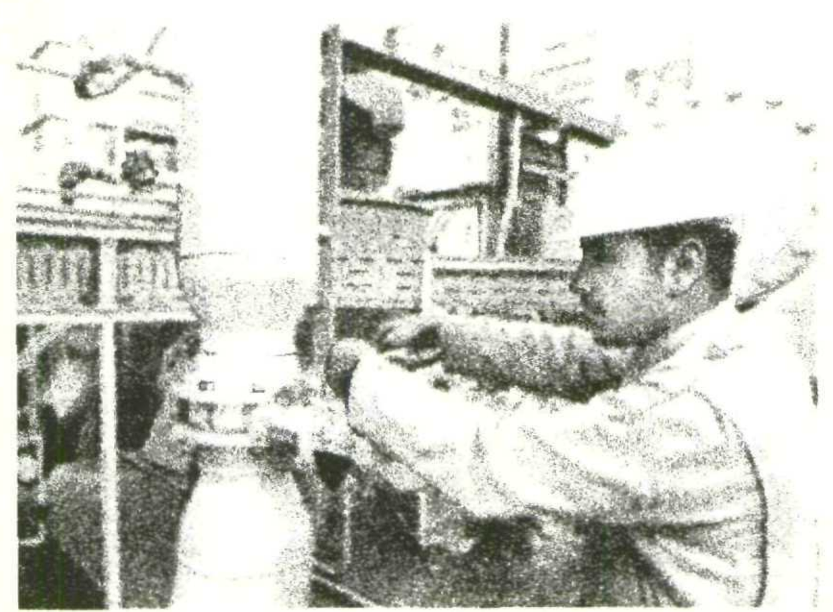
علمتني أن العبادة أن أخشاك ربي وأن أحبك جما
وأرى في جمال صنعك ما يملأ طرفي سحرا وعقلي علما
وينير السبيل ان أوحش الليل وحار الدليل بالنجم رسما
فارعها تعطك الرجاحة رأيا وأبغها تولك المقادة فهما

الأمانة

علمتني أن الأمانة أن يصدق نصحي ويستقيم مرادي
علمتني الا أحيد عن الحق ، وللحق نصرتي وجهادي
علمتني أن الأمانة سفر زين بالخير والهدى والرشاد
نقيت في أدائها شرة النفس ومات الهوى وصح اعتقادي

تحلية مياه البحر في جدة

مع امتداد الحركة العمرانية، وازدياد عدد السكان المطرد، راحت وزارة الزراعة والمياه تبحث عن مصادر المياه وتطويرها بشكل يضمن استمرارها، ولما كانت المدن الساحلية بوجه خاص تعاني أزمة مائية، اتجهت أنظار الوزارة إلى تحلية مياه البحر كمصدر ثابت لا ينضب معينه، وبعد دراسات مستفيضة، تقرر إنشاء عدد من محطات التحلية في المملكة كان في مقدمتها محطة التحلية بجدة التي نحن بصددها في هذا المجال.



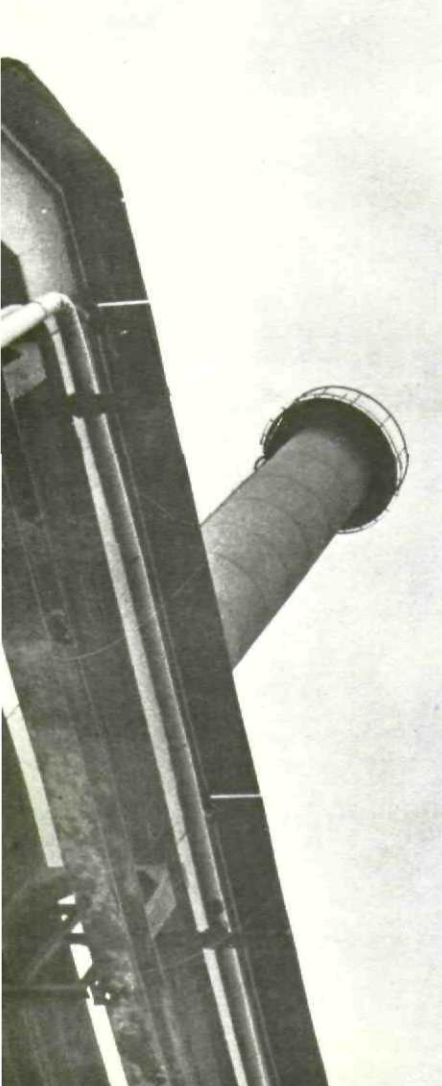
يقوم هذا الموظف بفتح أحد الصمامات لينساب الماء العذب الى الخزان الذي يتجمع فيه .

لكي ندرك أبعاد مشكلة المياه التي كانت تتعرض لها مدينة جدة ، ينبغي لنا أن ندير عقارب التاريخ الى الوراء ، الى قرن من الزمان . في تلك الحقبة من التاريخ كانت جدة مدينة صغيرة تقوم ضمن سورها العتيق لا تزيد مساحتها بحال من الأحوال على نصف كيلومتر مربع . وكان أهالي جدة يعتمدون في شربهم على مياه الأمطار التي كانت تجمع في صهاريج بنيت لهذا الغرض ، وعلى مياه بعض العيون والآبار القريبة من جدة ، تنقل اليها على ظهور الجمال . ومع أن تلك المياه كانت عرضة للتلوث وكانت تحتوي على نسبة عالية من الملوحة ، ولا سيما مياه الآبار نظرا لقلة الأمطار ولطبيعة الأرض السبخة المحيطة بها ، الا أنها كانت تباع بأسعار باهظة . ولهذا كانت تعيش في جو كئيب ، يهددها دوما شبح انقطاع المياه عنها . ويحدثنا المؤرخ البحاثة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه « تاريخ العين العزيزية بجدة » عن أزمة المياه الحادة بجدة في تلك الأحقاب البعيدة وكيف تنبهت اليها الحكومات المتعاقبة فيقول :

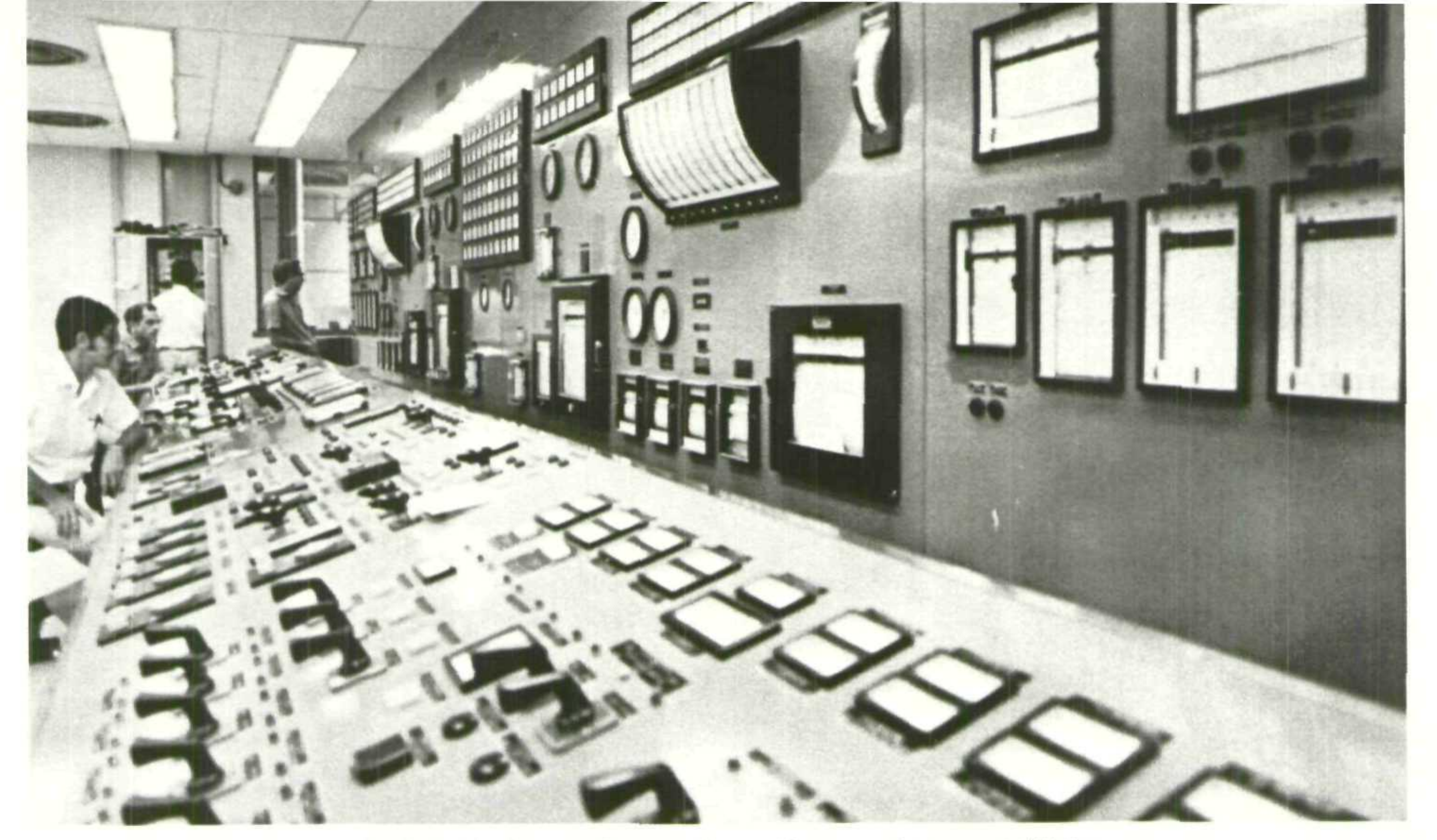
« في القرن العاشر الهجري ، اهتم السلطان « قانصوه الغوري » بمعالجة أزمة الماء المستفحلة في جدة ، فقرر جلب عين لها جارية تنقذها من براثن هذه الأزمة المستحكمة في عهده فكان أن جلب لها عينا من وادي قوص شمال الرغامة في الجنوب الشرقي من جدة . واستمر جريان هذه العين حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري عندما اعتراها الضعف ونضبت . وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني تم ايصال « العين الوزيرية » التي تبعد عشرة كيلومترات شرقي جدة . وقد وزعت مياهها في أنابيب على أحياء المدينة توزيعا حسنا . ولم يمض على هذه العين زمن طويل حتى أخذ ماؤها يقل تدريجيا ، فخيم على جدة ظل كارثة رهيبة لم ينقذها منه سوى لجوء الحكومة العثمانية الى استعمال مقطرة (كنداسة) تحول ماء البحر الأجاج الى ماء عذب بمعدل ٣٠٠ طن يوميا ، مما خفف من وطأة الكارثة . وقد أصاب هذه المقطرة العطب فيما بعد ، فكان أن قامت الحكومة السعودية باستيراد آلتين كبيرتين عام ١٣٤٦هـ لتقطير الماء . وقد أدى تشغيل تينك المقطرتين فوق طاقتهما الانتاجية ، لمواجهة الزيادة المطردة في عدد السكان والحجاج، الى أن تلقيا نفس مصير سابقتهما » .

فبادر جلالة المغفور له الملك عبد العزيز الى التفكير في حل هذه الأزمة المستعصية حلا جذريا يكفل لجدة موردا ثابتا من الماء يسد حاجتها حاضرا ومستقبلا . وعلى ضوء التقارير التي رفعتها البعثة الزراعية الأمريكية التي استقدمتها حكومة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز لدراسة أوضاع البلاد الزراعية والمائية ووضع مخططات لانمائها وتحسينها ، تقرر شراء بعض العيون في وادي فاطمة واستئجار بعض وجبات عيون أخرى بحيث لا يلحق مزارع الوادي أي ضرر . وهكذا تم في غرة محرم ١٣٦٧هـ ايصال الماء الى مدينة جدة من عين « أبي شعيب » التي تبعد ٦٥ كيلومترا الى الشمال الشرقي من جدة عبر خط للأنابيب يبلغ قطره اثنتي عشرة بوصة . وقد سجل هذا الحدث التاريخي الشاعر فؤاد شاكر بقصيدة يقول فيها :

هو مـاء جـرى فحسبك منه	**انـه للحياة مـاء الحيـاة**
فجرته باليمن في خير عهـد	**كـف عبد العزيـز خير السقاة**
هبـة مـن يمينـه وسخاء	**بز ما في زمانـه مـن هبات**
قد جرت في ينابـع الأرض منه	**ثـروات تختـال في ثـروات**



جانب من برجي محطة التحلية الشاهقين .



غرفة المراقبة ويرى فيها عدد من المهندسين المختصين يراقبون وحدات المحطة المختلفة .

وقد أطلق على ذلك المشروع الخيري « العين العزيزية » وشكلت له ادارة مستقلة لها ميزانيتها الخاصة وارداتها ومصروفاتها الخاصة . وراحت هذه الادارة منذ ذلك الحين تبذل جهودا كبيرة في سبيل تأمين حاجة السكان الى مياه الشرب النقية ، فقامت بتطوير عيون وادي فاطمة وحفر الآبار وبناء المحطات ، ومدت خطين آخرين للأنابيب ، قطر الأول منهما عشرون بوصة والثاني ثلاثون بوصة. كما تم لها انشاء ثمانية خزانات عند الكيلو ١٤ على طريق جدة – مكة تتسع لثمانية عشر مليون غالون من الماء . ولما شعرت هذه الادارة أن وادي فاطمة أصبح مصدرا لا يفي بمتطلبات مدينة مطردة النمو كجدة ، اتجهت بدراساتها الى وادي خليص الى الشمال الشرقي من جدة ، ولما تأكد لها جدوى هذا الوادي من حيث غزارة مياهه وصلاحها للشرب ، استأجرت بعض العيون في أعالي وادي خليص على بعد ١٨٠ كيلومترا وحفرت بعض الآبار ، ثم مدت خطا قطره ٣٢ بوصة يوفر لمدينة جدة حوالي ثلاثة ملايين غالون يوميا بالاضافة الى ما يقرب من عشرة ملايين غالون من الماء يوميا من وادي فاطمة .

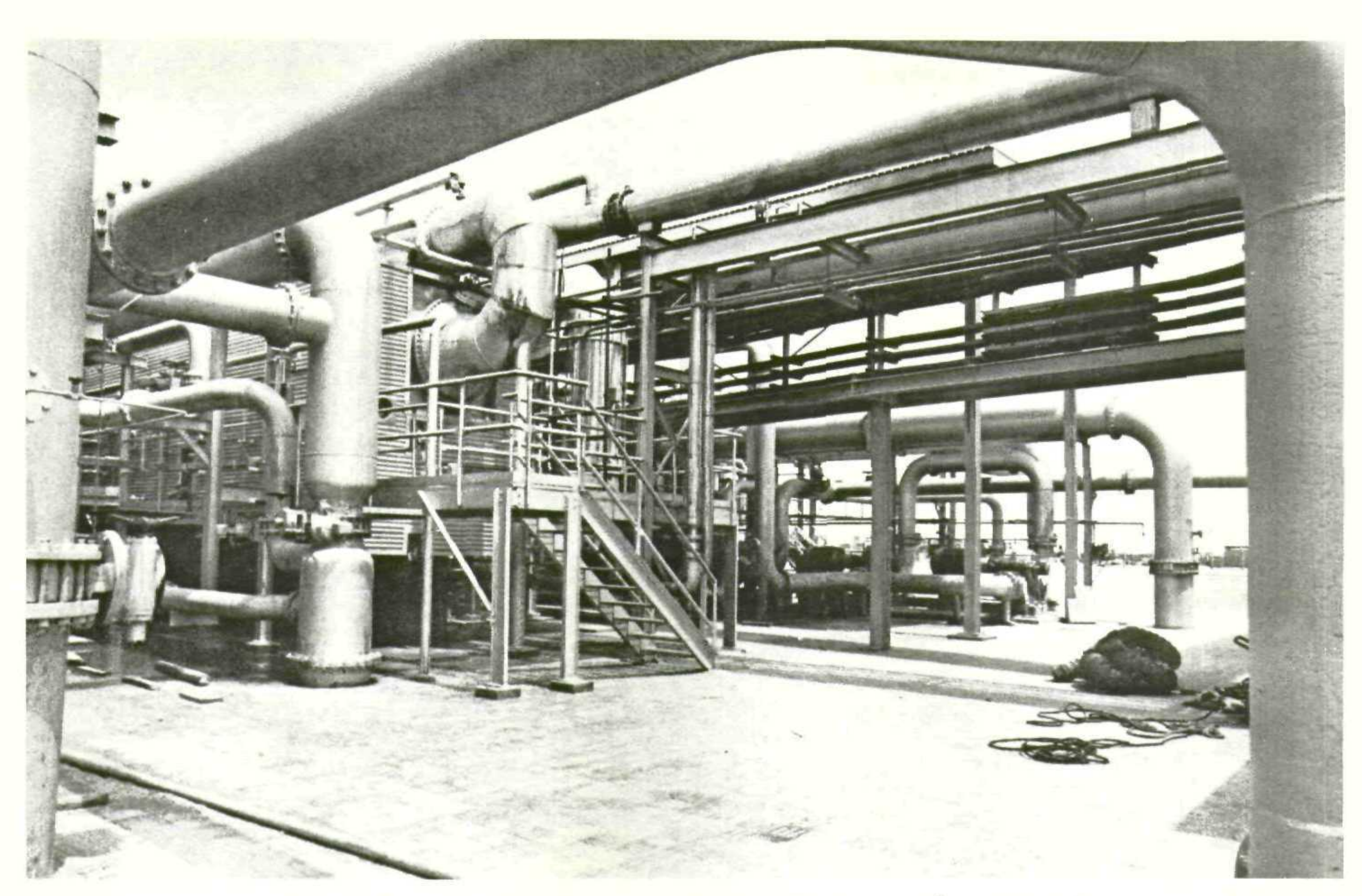
لقد كان لتدفق هذه الكميات الوفيرة من الماء الى جدة أثره الواضح في مدى تطورها في جميع المجالات . ففي خلال ربع قرن فقط ارتفع عدد سكانها من عشرين ألفا الى ٣٠٠ ألف نسمة . وراحت خلال فترة وجيزة تنضو عنها ثيابها البالية لتلبس حلة قشيبة وأخذت تتمطى ، حتى بلغت مساحتها مائة ضعف عما كانت عليه في الماضي ، وغدت في عداد المدن الكبيرة في العالم .

ولدى اجتماعنا بالشيخ « أسعد جمجوم » مدير عام شؤون المياه في المنطقة الغربية قال :

« ان التوسع العمراني الذي تشاهدونه اليوم في جدة لم يكن ليتحقق بدون توفير الكميات اللازمة من الماء . وحركة العمران هذه سائرة الى الأمام بشكل أصبحت معه الكميات المتوفرة من الماء الآن عاجزة عن مواجهة الضغط المتزايد مما دعا وزارة الزراعة باعتبارها المسؤولة عن احتياجات سكان المملكة لمياه الشرب للتفكير في انشاء محطة ضخمة لتحلية مياه البحر تعمل جنبا الى جنب مع المصادر الأخرى لسد حاجة السكان الى مياه الشرب من ناحية ، وسد متطلبات الزراعة والصناعة من ناحية أخرى » .

ادارة تحلية المياه المالحة

مع أن موارد مياه الشرب الحالية تكاد تفي بحاجة توسع الاستهلاك لسنوات مقبلة ، الا أن حكومة المملكة العربية السعودية ، احتسابا منها للمستقبل وما قد يتمخض عنه من أحداث ، بدأت تعد العدة لتوفير فائض من مياه الشرب . وهكذا أنشأت مكتبا خاصا لمشاريع تحلية مياه البحر



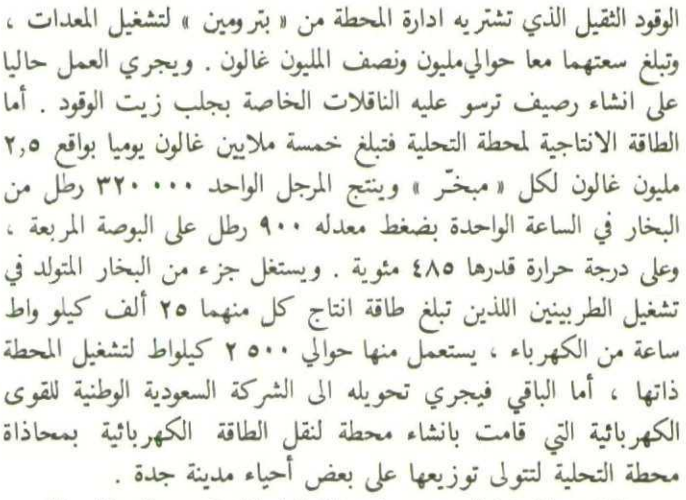
شبكة معقدة من الأنابيب يمر فيها المـاء الملح ليصبح بعـد ذلك ماء عذبـا فيه لذة للشاربين .

الذي أشرف في ربيع عام ١٣٨٥هـ على اجراء الدراسات اللازمة على السواحل الغربية من المملكة ، حيث تبين أن مياه البحر الأحمر صالحة جدا للتحلية . ولم يلبث هذا المكتب أن أصبح ادارة متكاملة يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل . وقد اضطلعت هذه الادارة بانشاء محطتين للتحلية في كل من الوجه وضبا . وأعقب ذلك انشاء محطة التحلية في جدة التي تعتبر أكبر محطة للتحلية من نوعها في العالم . ونظرا لاتساع مهام هذه الادارة وتشعبها تحولت الى وكالة للوزارة . وهي تقوم حاليا بانشاء محطة لتحلية المياه في مدينة الخبر ، كما تقوم بدراسات لانشاء المزيد من محطات التحلية على البحر الأحمر والخليج العربي .

موقع المحطة ومراحل الإنشاء

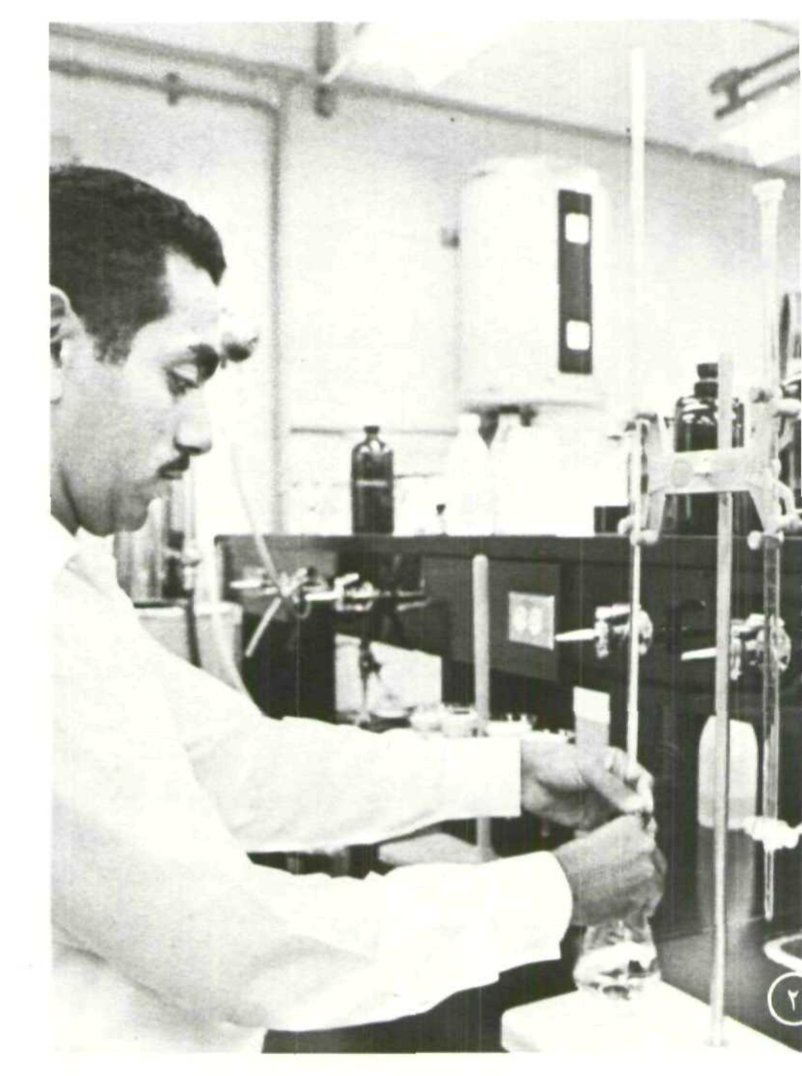
تقوم منشآت محطة التحلية على أرض مساحتها مليون متر مربع ، تبعد نحو ١٤ كيلومترا الى الشمال الغربي من مدينة جدة في مكان يقال له « غبّة عشرة » ويعرفه بعض الأهالي هناك باسم « رأس القحّاز » . ومما يضفي على هذا المكان روعة وبهاء أمواج البحر التي تتكسر برفق على شواطئه الجميلة من الجنوب والغرب . وقد اختير هذا الرأس الجميل ليحتضن محطة التحلية وما سيطرأ عليها في المستقبل من أعمال التوسعة واقامة وحدات سكنية للموظفين لأسباب عدة ، منها عمق المياه حوله ونظافتها ، فضلا عن نظافة الموقع ذاته ، ثم وجود رياح غربية باردة تهب باستمرار من شأنها تبريد وحدتي التبخير اللتين تضمهما المحطة . كما كان للتوسع العمراني الذي لحق بالجهة الشمالية من مدينة جدة ، وتدفق مياه وادي خليص من الجهة ذاتها ، العامل الرئيسي لاختيار ذلك الموقع الذي ساعد على جعل أمر بناء خزانات وخطوط أنابيب في تلك الجهة أكثر احتمالا وأقل كلفة .

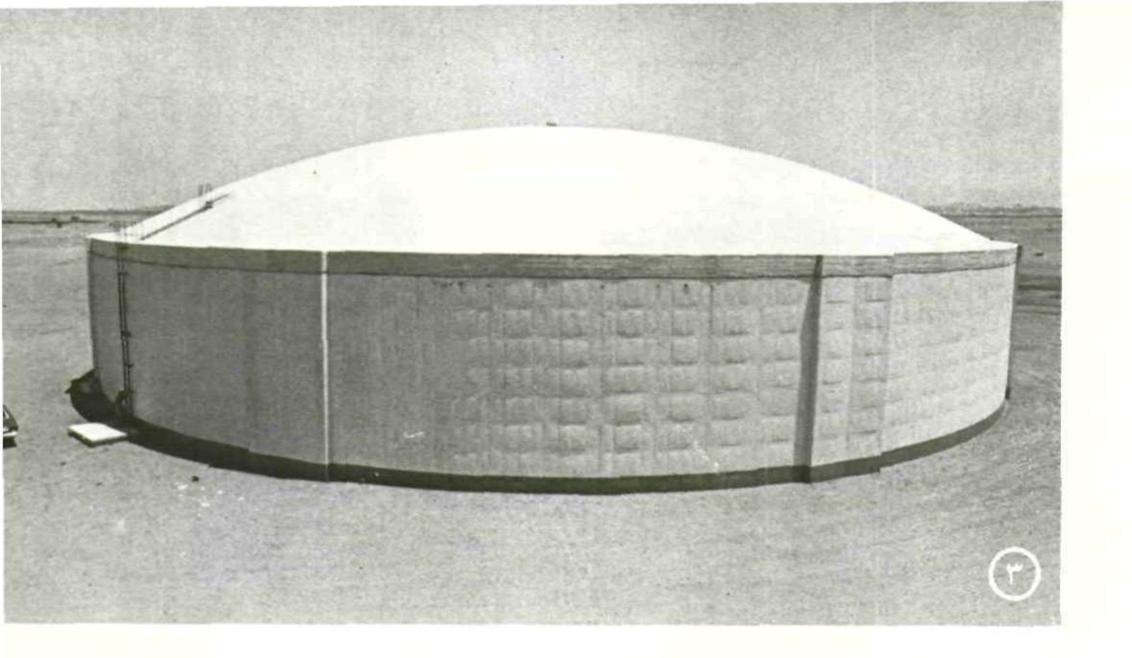
بديء في دراسة مشروع هذه المحطة، التي زادت تكاليفها على ٩٠ مليون ريال ، في منتصف عام ١٩٦٧ عندما أوكلت وزارة الزراعة الى مكتب تحلية المياه الملحة الأمريكي اعداد الدراسة الأولية للمشروع ، ثم أوكلت الى شركة « رو وبيرنز — Roe & Burns » الاستشارية الأمريكية اعداد المواصفات والعقود ووضع التصاميم لوحدات المحطة . وقد أنيطت مهمة بناء المحطة والاشراف على تنفيذ جميع مراحل الانشاء الى شركة « كونتيننتال » الهندسية ، وهي شركة هولندية مقاولة . أما الشروع في انشاء هذه المحطة فقد كان في مطلع عام ١٩٦٩ .. وقد اشترك في صنع وتركيب وحدات المحطة وأجزائها عدد من الشركات الأمريكية واليابانية والألمانية .. وتشمل المحطة ثلاث مضخات لسحب الماء الملح من البحر ، طاقة كل منها ٢٥ ألف غالون في الدقيقة ، وخزانا لتجميع المياه العذبة سعته ٩٦ ألف غالون من الماء ، بالاضافة الى صهريجين لخزن زيت



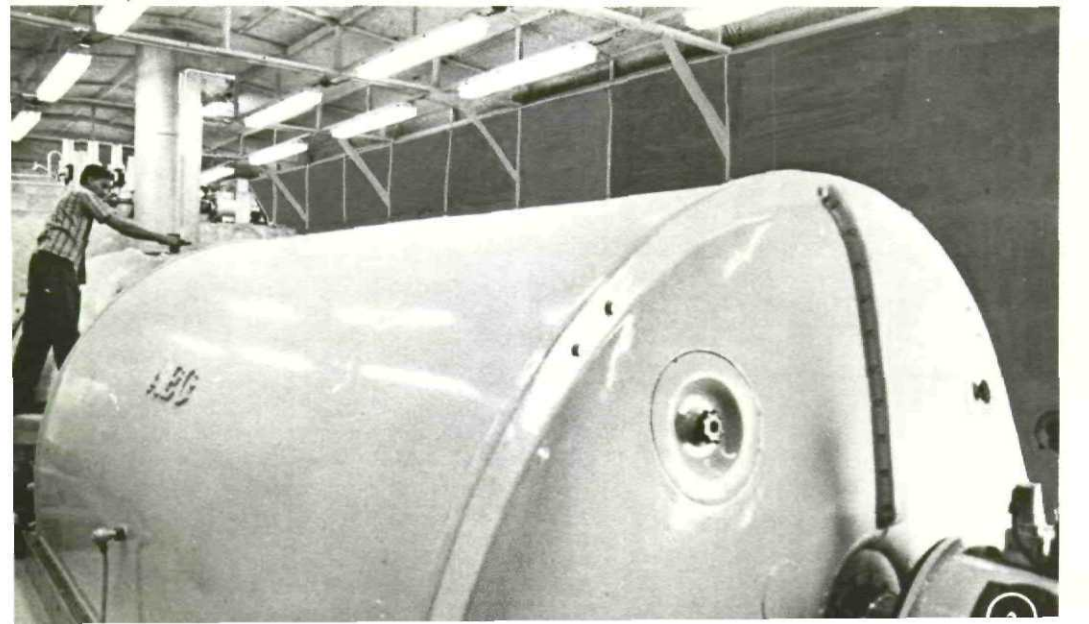
الوقود الثقيل الذي تشتريه ادارة المحطة من « بترومين » لتشغيل المعدات ، وتبلغ سعتهما معا حوالي مليون ونصف المليون غالون . ويجري العمل حاليا على انشاء رصيف ترسو عليه الناقلات الخاصة بجلب زيت الوقود . أما الطاقة الانتاجية لمحطة التحلية فتبلغ خمسة ملايين غالون يوميا بواقع ٢٫٥ مليون غالون لكل « مبخّر » وينتج المرجل الواحد ٣٢٠٠٠٠ رطل من البخار في الساعة الواحدة بضغط معدله ٩٠٠ رطل على البوصة المربعة ، وعلى درجة حرارة قدرها ٤٨٥ مئوية . ويستغل جزء من البخار المتولد في تشغيل الطربينين اللذين تبلغ طاقة انتاج كل منهما ٢٥ ألف كيلو واط ساعة من الكهرباء ، يستعمل منها حوالي ٢٥٠٠ كيلواط لتشغيل المحطة ذاتها ، أما الباقي فيجري تحويله الى الشركة السعودية الوطنية للقوى الكهربائية التي قامت بانشاء محطة لنقل الطاقة الكهربائية بمحاذاة محطة التحلية لتتولى توزيعها على بعض أحياء مدينة جدة .

والقاعدة المبدئية التي تتم بها تحلية المياه المالحة هي غلي الماء الملح ، وحصر البخار الناتج عنه ، ثم تبريده بملامسته سطحا باردا ، فيتحول الى ماء صاف صالح للشرب . وتقوم المراجل الضخمة بتزويد جهاز التبخير بالحرارة على شكل بخار في الوقت نفسه الذي يتم فيه ضخ مياه البحر الى هذه الأجهزة لتسخينها بواسطة البخار المار عبر مئات الأنابيب الصغيرة داخل جهاز التبخير . وبعد عملية تبريد المياه الصافية وتكثيفها ، تضخ المياه المعالجة عبر أنابيب الى خزان تجميع المياه العذبة . غير أن الماء الملح قبل دخوله الى المكثف ، يمر بوحدة نزع الكربون ويضاف اليه حامض الكبريتيك ومادة أخرى يطلق عليها « مانع الرغاوي » وذلك منعا لتراكم الأملاح في غرف المكثف . وحري بالقول أن عملية الوحدتين اللتين تتألف منهما محطة التحلية تتم تلقائيا ، وفي حال حدوث أي خلل قد يطرأ على أي من أجهزة المحطة ، فان هنالك اشارات ضوئية تنبعث من لوحة المراقبة تنذر بوجود ذلك الخلل حتى يتسنى للمسؤولين العمل على اصلاحه . وتشكل المياه العذبة التي تنتج من عملية التبخير نحو ١٠ بالمائة من كمية المياه الملحة فقط ، والسبب في ذلك يعود الى منع ترسب الأملاح الموجودة في ماء البحر في المقطرات . وتبلغ درجة ملوحة المياه العذبة الناتجة حوالي









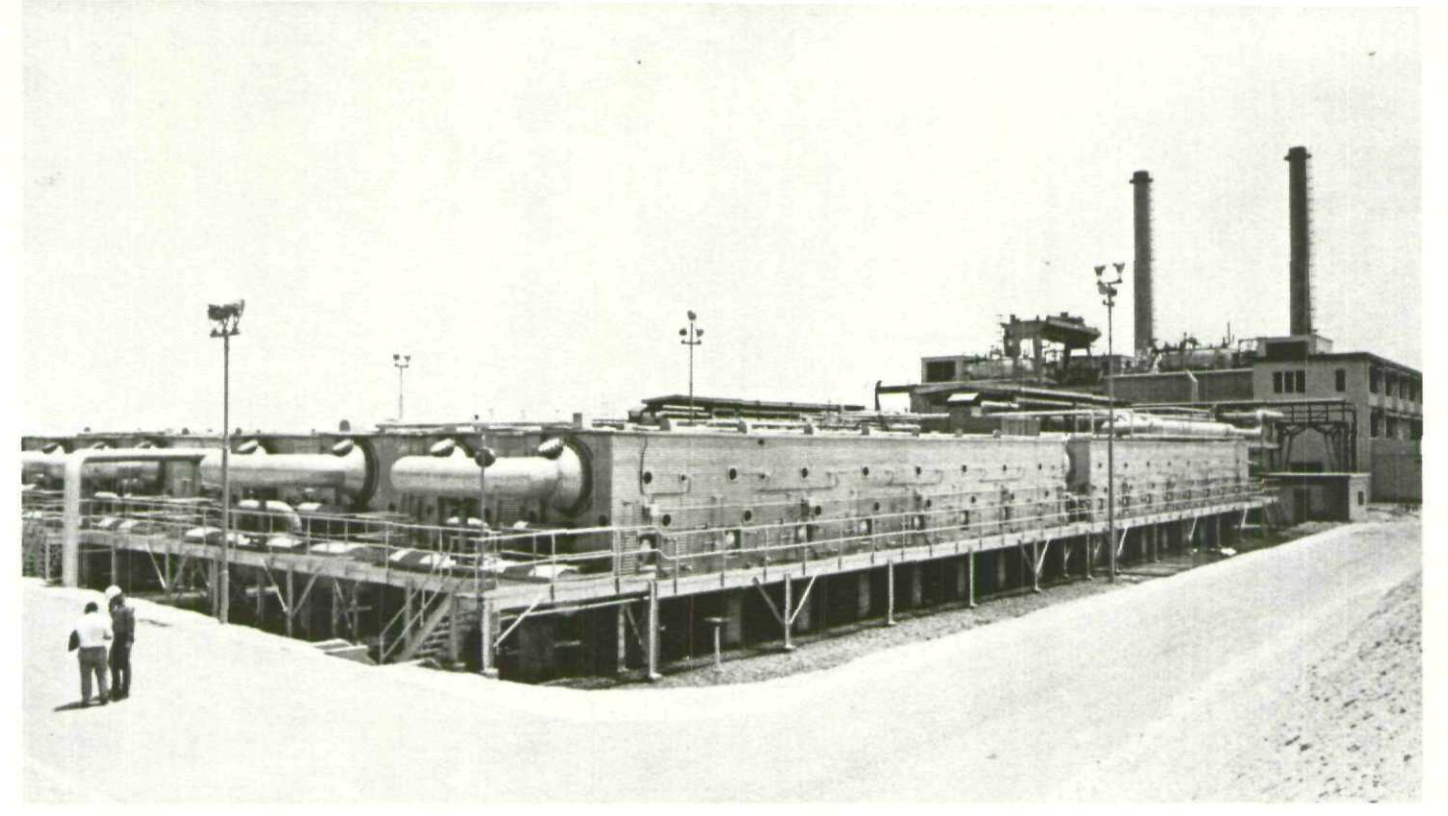
١ – يتم تدريب الموظفـين السعوديين في محطة التحلية نظريا وعمليا على عمليات التحلية المتشعبة .

٢ – المهندس الكيماوي السعودي داود خميس يفحص عينات الماء في المختبر الملحق بمحطة التحلية .

٣ – تخلط المياه القادمة من محطة التحلية بالمياه القادمة من وادي خليص وتدفع الى هذا الخزان الكروي الذي تبلـغ سعته خمسة ملايـين جالون .

٤ – يجري العمل على انشاء فرضة ترسو فيها البواخر التي تنقل الوقود اللازم للمحطة .

٥ – أحد الفنيين يتفقد جانبـا من المولـدات الكهربائية في المحطة .



منظر عام لمحطة التحلية بجدة تظهر فيها وحدات التحلية الضخمة التي توفر مياه الشرب لسكان مدينة جدة .

١٧ جزء من المليون ، بينما درجة ملوحة مياه البحر الأحمر تبلغ نحو ٥٠٠٠٠ جزء من المليون .

لقد انتهى العمل من انشاء محطة تحلية مياه البحر في جدة في أواخر ابريل ١٩٧١ حيث قامت الشركات التي أسهمت في تركيب أجزاء المحطة باشراف شركة « كونام سرفسز » بسلسلة من التجارب الأولية على وحدات المحطة المختلفة لضمان سلامتها والتأكد من فعاليتها وحسن أدائها .

التشغيل والصيانة

توخيا لصيانة محطة التحلية بجدة وغيرها من المحطات وتشغيلها على أسس فنية صحيحة ، فقد تعاقدت وزارة الزراعة مع احدى الشركات الأمريكية للقيام بتلك المهمة لمدة خمس سنوات ، وقد بلغت قيمة عقد التشغيل والصيانة ٢٤ مليون دولار . وتقتضي بعض بنود الاتفاقية المعقودة مع هذه الشركة تدريب الموظفين السعوديين على جميع أعمال المحطة . وتنفيذا لهذا الجزء من الاتفاقية فقد انتدبت الشركة خبيرا لاعداد برامج التدريب المهني التي ستغطي سائر عمليات الأجهزة والوحدات في المحطة . ويبلغ عدد الموظفين الذين يعملون في المحطة ١٣٤ موظفا ، منهم ٦٠ بالمئة من السعوديين الذين يشغلون وظائف فنية مختلفة ، هذا بالاضافة الى الموظفين السعوديين التابعين لادارة التحلية .

مختبر محطة التحلية

أنشىء في محطة التحلية في جدة مختبر يعمل فيه خمسة مهندسين كيميائيين ، منهم اثنان سعوديان. وينحصر عمل المختبر في مراقبة انتاج المحطة وتحليله ، وذلك باجراء اختبارات كيميائية على عينات من الماء تؤخذ على فترات معينة من المراحل الثلاث التي يمر بها الماء الملح . اذ يقوم المهندس بتسجيل حرارة الماء والرقم الهيدروجيني ودرجة القلوية والكثافة النوعية ودرجة ملوحة الماء الناتج . كما يقوم بأخذ عينات من الماء لدى مروره بالمراجل ، وذلك لحفظ الماء فيها طبقا لمواصفات معينة .

خزان ضخم للمياه العذبة

لاستقبال مياه محطة التحلية ومياه وادي خليص قامت وزارة الزراعة بانشاء خزان أسطواني الشكل تعلوه قبة زرقاء عند الكيلو ١٢ على طريق جدة–المدينة المنورة، تولت تصميمه والاشراف على تنفيذه شركة سويدية . ويبلغ ارتفاع هذا الخزان ٨ أمتار ، ومحيطه ١٥٤ مترا ، وسعته خمسة ملايين غالون من الماء . وقد بلغت تكاليف هذا الخزان مع محطة الضخ حوالي مليوني ريال . ولجلب مياه محطة التحلية الى الخزان جرى مد خط للأنابيب قطره ٨٠ سنتيمترا وطوله ٨ كيلومترات ، وهي البعد بين المحطة والخزان . وتقوم ادارة « العين العزيزية » بتوزيع المياه من جميع مصادرها ، بما في ذلك محطة تحلية المياه ، على أحياء مدينة جدة بسعر رمزي قد لا يتجاوز نصف ريال للطن الواحد .

ويعتبر انشاء هذا الخزان المرحلة الأولى من مشروع ضخم تتولاه هذه الادارة . أما المرحلة الثانية فهي تمديد شبكة جديدة لمدينة جدة ، من أنابيب مصنوعة من الحديد المطاوع والبلاستيك تبلغ قيمتها حوالي عشرين مليون ريال . وستقوم شركة يونانية بتمديد هذه الشبكة التي تبلغ تكاليفها نحو ١٥ مليون ريال . كما ستضم المرحلة الثانية انشاء خزان آخر ومحطة ضخ . هذا وتجري الآن دراسات حول فكرة انشاء برج كبير للمياه في مدينة جدة مماثل للبرج المقام في الرياض ■

سليمان نصر الله

المصور : علي محمد خليفة

مِنْ حَدِيثِ المُذَكّراتِ وَاليَوميّات

بقلم الاستاذ احمد عصام الدين

لعل من الحديث المعاد، القول بأن المرء حين يدون مذكراته أو يسجل يومياته، انما يؤبن يوما مضى من أيامه، أو عاما انصرم من حياته لن يعود. هذه اليوميات وتلك المذكرات وغيرها من أساليب تسجيل الماضي لا تقف دلالتها عند هذا الحد، وانما تمتد فتصل علاقتها بالحياة الانسانية في صور.

والمذكرات أو اليوميات عبارة عن سجل يلم فيه الكاتب شعث حياته عبر يومه، لا يفلت من أحداثه شيء من قبضة ذاكرته. وهو يوجه ما يكتب الى صديق تربطه به آصرة قوية، أو الى قريب عزيز، أو الى نفسه، أو لا يوجه ما يدون الى شخص بعينه.

ولكن هذه الاشتات المجمعة من أحداث حياة المرء، قد لا يدونها صاحبها على شكل يوميات، بل قد لا تنحل الى فصول من السيرة. ومن أمثلة ذلك مذكرات « جورنال دانيال ديفو » عن عام الوباء، وهو صاحب قصة « روبنسن كروزو » المعروفة، ومذكرات « ترجنيف » بعنوان « مذكرات رجل فائض عن الحاجة » التي لا تعدو أن تكون مجرد قصة قصيرة تتشح بثوب المذكرات.

ولعل ما يبعث على كتابة المذكرات أن تكون حياة المرء حافلة بالحركة والنشاط. ومن هنا جاءت رحلات ابن بطوطة وغيره من الرحالة العرب في الأدب العربي. ولا يعني هذا أن تلك المذكرات لا تحمل الطابع الأدبي، فان كثرة منها أدبية الطابع، يسوق صاحبها حديثه فيها في لغة رقراقة، تتكيء على اللفظ الصحيح، وتتلألأ بالعبارة المشرقة.

بيد أن غريزة كاتب المذكرات تذهب الى أغوار أعمق من هذا بكثير. ولعلي لا أجاوز الحقيقة حين أقول أن تسجيل خواطر كاتب المذكرات نفسه النابع من احساسه بحياته أبعد خطرا في نظره وأعظم وزنا، فتراه يصب مع مغيب شمس يومه خواطره واحساساته الجياشة. وان براعته في الكتابة لا تتوقف أبداً، وانما تنهب السطور نهبا لتملأ الصفحات تلو الصفحات. ومثل هذه المذكرات، وان طوت بين تضاعيفها غير قليل من تفاهات الحياة الشخصية، ترسم في أغلب الأحيان عن غير قصد، صورة المجتمع الذي عاش فيه صاحبها.

وأحب أن أقول أن هذا ليس شأن كل كتاب المذكرات، فمنهم من يزيد الأمر عنده عن مجرد احساس بالحياة التي يحياها، فنرى حب الحياة يطغى عليه في مثل عاطفة عارمة، وحمى تنساب في كيانه كله. ومن ذلك امرأة مشهورة كتبت في مذكراتها، وهي بعد في مدارج الطفولة، حين طالت نظرتها الى المرآة: « عندما أفكر في الصورة التي سأكون عليها بعد عشرين عاما، لا أملك الا أن أمط شفتي ! ». وقالت بعد ذلك بسنين، وقد أخذت تواجه الظروف الصعبة في الحياة: « أنا لا أكره الحياة، بل على العكس، أراها بخير. هل تصدق أني أراها طيبة ؟ حتى دموعي وآلامي فيها اني أحب أن أبكي، وأحب أن أيأس، وأحب أن أحزن وأن أبتئس، وأحب بعد هذا كله الحياة، أحبها الحب كله ».

ويعيش المرء أغلب الأحيان بين السطور في هذه المذكرات، بين أصداء الماضي الحية، على فقرات تؤكد لذة صاحبها في قراءة ماضيه ثانية. فاذا أنت قرأت ما كتبه « تولستوي » في مذكراته، أدركت مدى كلف كاتب السطور بما فيها، وان كان ماضي حياته حافلا بالآلام، مفعما باليأس والقنوط. والواقع ان ماضي صاحب المذكرات ليس شيئا لا وجود له، وانما هو كائن حاضر معه بين يديه، يعرف كل قسمة من قسمات خلقته. ألفها وألفته دهرا طويلا، بل دهر حياته، وهو يشد أوتار قلب صاحبه، ويتردد صدى يظنه الناس انه قد ولى واندثر.

وكاتب المذكرات لا يؤرق جفنه شيء مثل عدم تدوينه سيرة حياته، وهي تمضي به من يوم الى يوم. كتب أحدهم يقول: « كم يبعث على الأسف في نظري أن يمضي عام في أعقاب آخر، دون أن يسجل المرء ما يفعل. » فكاتب المذكرات بتدوين مذاكراته انما يحصد ثمرات وعيه وآيات وجوده، وبه لهفة أن يحفظ كل لحظة من لحظات حياته، وكل أثر من آثار ماضيه ويحصي كل خفقة يضطرب بها قلبه، ويرجو أن تبقى ذكرى حية عنه بعد مماته. ومن هؤلاء « دافيد ثورو » و « رالف أمرسون ».

وقد يبلغ شغف المرء بتدوين مذكراته حداً يجعله لا يدع الدفتر، فهو لا يريد أن تفلت منه كلمة لا يدونها، ولو كانت عابرة، أو احساس لا يسجله .. يقظ دوما كل اليقظة. ولعل هذا ما جعل مثل هذه المذكرات تحمل طابع « الثرثرة »، ان صح هذا التعبير.

وكتابة المذكرات — من حيث هي دافع الى التعبير عن النفس أو اجتلاء الذات — كثيرا ما تستمد غذائها من الجو المحيط بصاحبها، وفيه كثير مما لا يروق له أو يطيب .. فالمذكرات يمكن أن تتخذ وسيلة من وسائل الخداع النفسي عندما يصاحب الحزن صاحبها، فاذا هي شيء من أسلوب الفرار من المشاكل، والبعد عن البرية. وكاتب المذكرات بين أوراقه ويراعه، يفرط في لذته ومتعته بوحدته التي يتذكر فيها أصدقاءه وأعداءه سواء بسواء، ويذكر كلا الفريقين، دونما يعتور احساسه زيف .. يذكر أحزانه وأتراحه ولواعجه، وقد توارت جميعا عن عيون الناس في جو الطمأنينة الذي تضيفه عليه وحدته تلك. وينتشي باستعادة ذكرى من كان يمتدح خلة طيبة فيه. ويحضرني في هذا المجال قول كاتب المذكرات « موريس دي جورين » « Maurice De Guerin » الذي دبج آلاف الصفحات الكبيرة: « لقد كان اليأس السابق لأوانه، وتثبيط الهمة يشكل كلاهما نصيبي في الحياة الذي لا يتغير. »

ولئن كانت معظم هذه المذكرات ذاتية تتميز بأن رغبة التعبير عن النفس تتجلى فيها دائما، الا أن كتابة المذكرات بطبيعتها موضوعية تسرد أحداث الحياة سردا مؤنسا.

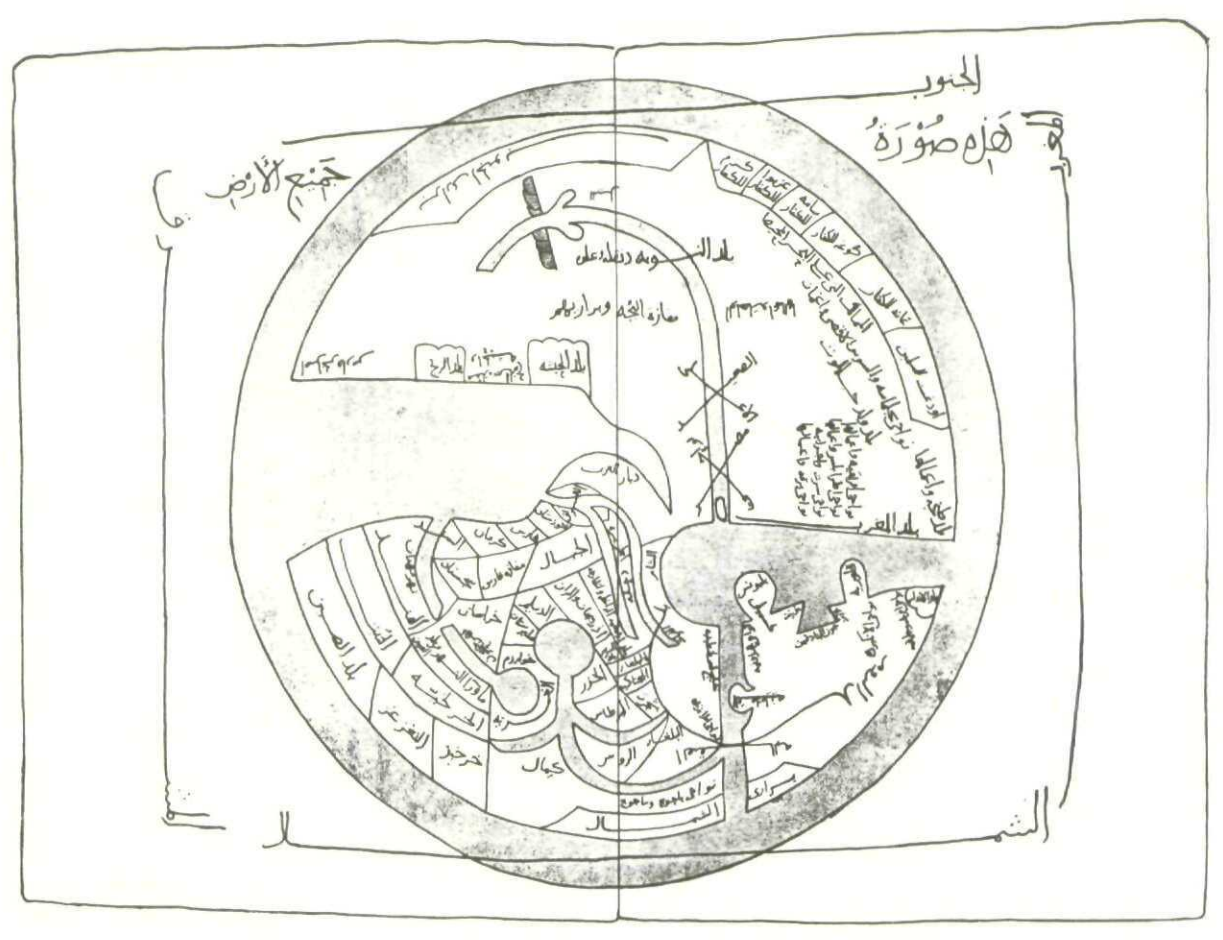
وهناك ضرب آخر من المذكرات يعرف بـ « الاعترافات »، ويتسم بطابع من الاعتزاز بالنفس الذي يستمد كيانه من صراحة صاحبها، وامانته في تدوين اعترافاته، وفي هذا تقول احدى كاتبات الاعترافات في اعتزاز: « اني لا أقول طوال الوقت كل ما يدور بخلدي وأفكر فيه قط، بل لا أفكر أبدا في أن أخفي لحظة واحدة شيئا يظهرني بمظهر ما يدعو الى الاستهزاء والسخرية، أو حتى يدينني. » ■

العرب والجغرافية الرياضية

بقلم الدكتور نقولا زيادة

الناحية العلمية والفكرية في الحضارة العربية الإسلامية خصبة إنتاجًا، عميقة ابتكارًا وأصالة، وإن كانت الأصالة والابتكار يختلفان باختلاف نواحي المعرفة المتعددة والمتباينة - المتعددة فروعاً والمتباينة أهدافاً. والذي نأمل أن نبيّنه، ولو بصورة عامة، هو ما توصّل إليه العرب في الجغرافية الرّياضية .

ولعل خير سبيل لذلك هو أن نستعرض تطوّر هذه الناحية من العلم العربيّ في إطاره التاريخي، مركّزين على الباحثين وآثارهم، مشيرين في نهاية المطاف، الى مجمل ما تمّ على أيدي العرب من مآثر في هذا المجال .

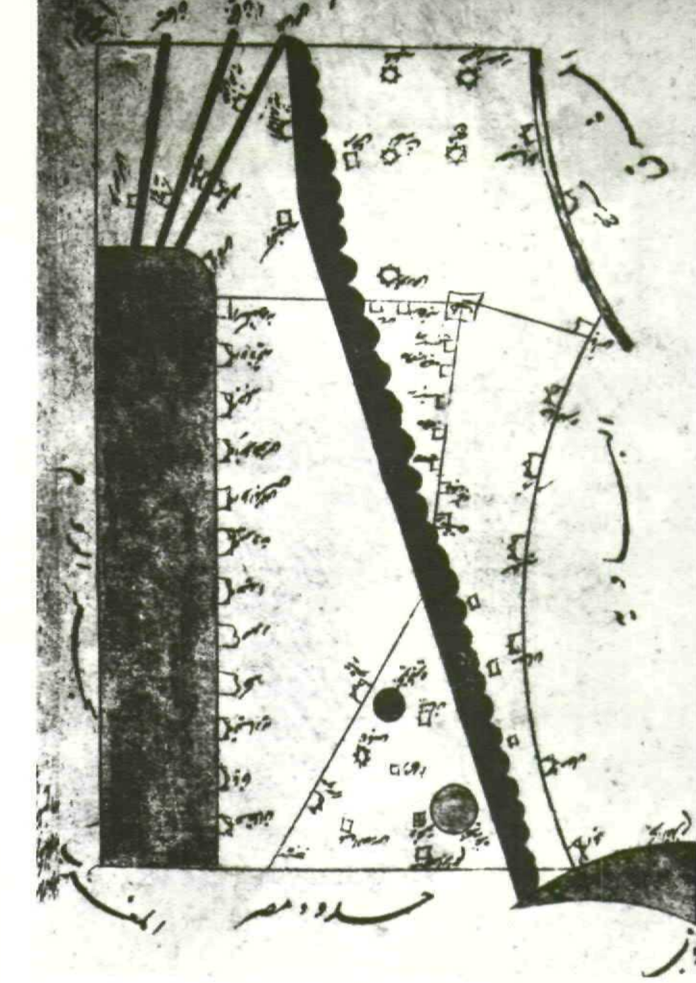


صورة كاملة للأرض مأخوذة من كتاب « ابن حوقل » الجغرافي .

والأسماء الأولى التي تحضر الباحث عند تفكيره بهذا الموضوع هي أسماء : الخوارزمي والكندي وسهراب . وكل منهم وضع كتابا حول الموضوع ، فوضع الخوارزمي « صورة الأرض » ، والكندي « رسم المعمور من الأرض » ، وسهراب « كتاب الأقاليم السبعة » . وكل منهم كان متأثرا ببطليموس تأثرا مباشرا ، امـا عن طريق السريانيـة ، أو اليونانية ، أو عن طريق ترجمة عربية سابقة . ويبدو ان الخوارزمي وسهراب أضافا شيئا الى ما جاء من الحكيم اليوناني ، اما الكندي فقد ضاع متنه ، لذلك فاننا لا نعرف عنه الا نزرا بسبب نقل ضئيل فيما بعد .

والواقع ان الزخم الجديد في الجغرافية الرياضية عند العرب يبدأ بالبتاني المتوفى سنة ٣١٧ للهجرة (٩٢٩م) . والبتاني كان يمثل صابئة حران الذين كان لهم اطلاع قديم واسع دقيق على المعرفة اليونانية علما ، وفلسفة ، ومنطقا . وقد عمل في الرصد في الرقة بين سنتي ٢٦٤ و ٣٠٦ للهجرة (٨٧٧ و ٩١٨م) وهذه الخبرة العملية المباشرة هي التي مكنت للبتاني أن يصلح « المقالات الأربع » لبطليموس اصلاحا كبيرا . لكن مما يؤسف له ان هذا العمل العلمي الكبير قد فقد . والذي وصل الينا هو زيج البتاني فقط ، وهو المعروف باسم « الزيج الصابي » . وبذا انضم البتاني الى لائحة الجغرافيين العرب الرياضيين .

ويدخل ضمن المادة التي أضافها البتاني الى هذا الموضوع أولا ملاحظاته الدقيقة عن الكسوف ، وثانيا وصفه البحار وما فيها من الجزر وصفا مفصلا في الفصل السادس من مقدمته . وقد أصبح هذا فيما بعد أساس معرفة الأوروبيين عن البحار الى عهد الاكتشافات الجغرافية . والبتاني يحفظ لنا أدق وصف للعالم كما عرف الى زمنه ، وان كان في أكثره



ورة مأخوذة عن خريطة جغرافية لديار الشام كما وضعها الجغرافي العربي « البلخي ».

صورة للمغرب العربي .. مأخوذة من كتاب « ابن حوقل » .

يرقى الى بطليموس ورصفائه من اليونان . وها نحن أولا ننقل فقرة مما أورده البتاني حول هذه النقطة بالذات . قال :

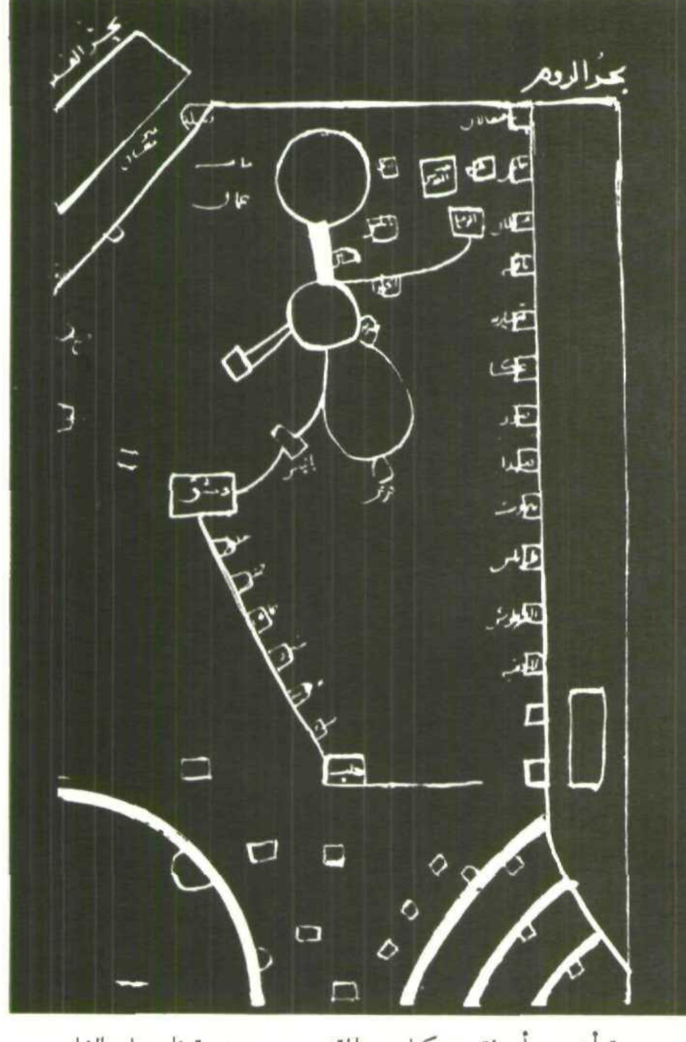
« وأما مواضع الأرض المعلومة والبلدان المسكونة في الطول والعرض ، فقد أوضحنا بالقياس الذي قد ذكره بطليموس ووافقه عليه غيره من القدماء أن الأرض مستديرة ، وأن مركزها في وسط الفلك ، والهواء محيط بها من كل الجهات ، وأنها عند فلك البروج مثل منزلة النقطة قلة . وأما عمرانها فانهم أخذوا حدوده من الجزائر العامرة التي تسمى الخالدات التي في بحر أوقيانس الغربي ، وهي ست جزائر عامرة الى أقصى عمران الصين ، فوجدوا ذلك اثنتي عشرة ساعة ، فعلموا ان الشمس اذا غابت في أقصى عمران الصين كان أول طلوعها على أول الجزائر العامرة المذكورة انها في بحر أوقيانس الغربي واذا غابت في هذه الجزائر صار أول طلوعها على أقصى عمران الصين ، وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذي وقف عليه ومقداره من الأميال ثلثة عشر ألفا وخمسمائة ميل من الأميال التي عملوا عليها في مساحة الأرض . ثم نظروا في العرض ، فوجدوا العمران من موضع خط الاستواء الى ناحية الشمال ينتهي الى جزيرة ثولي التي في برطانية حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة . وذكروا ان خط الاستواء من الأرض يقطع من المشرق الى المغرب فيما بين الهند والحبش في جزيرة هناك من ناحية الجنوب من معدل النهار ، فتعترض هنالك وتحد ما بين الشمال والجنوب . والخط الذي يقطع هذا الخط من ناحية الشمال الى ناحية الجنوب في النصف مما بين هذه الجزائر المذكورة انها في بحر أوقيانس وأقصى عمران الصين ، وهو قبة الأرض المعروفة بما وصفنا ، وموضعها موضع التقاطع . »

• • •

كثيرا ما نلاحظ اهتمام أصحاب الأزياج والمشتغلين بقضايا الفلك والأرصاد بالارتباط القائم بين هذه الأمور وأمور العبادات في الاسلام . وقد أوضح ابن يونس ، المتوفى سنة ٣٩٩ (١٠٠٩م) ذلك بعبارة وافية ، ننقلها فيما يلي :

« ولما كان للكواكب ارتباط بالشرع في معرفة أوقات الصلوات ، وطلوع الفجر الذي يحرم به على الصايم الطعام والشراب وهو آخر أوقات الفجر ، وكذلك مغيب الشفق الذي هو أول أوقات العشاء الآخرة ، والمعرفة بأوقات الكسوف للتأهب لصلاته ، والتوجه الى الكعبة لكل مصل ، وأوايل الشهور معرفة بعض الأيام اذا وقع فيه شك ، وأوان الزرع ولقاح الشجر وجني التمر ، ومعرفة سمت مكان ما من مكان ، والاهتداء عند الضلال ، وكان رصد أصحاب الممتحن (وهو زيج المأمون) قد بعد عمره ، وكان عليه من الخلل ما وجد في أرصاد من تقدمهم من أهل العلم والبطش ، مثل أرشميدس وابرخس وبطليموس وغيرهم ، أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين أبو علي المنصور الامام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنيائه الأكرمين بتجديد رصيد الكواكب السريعة السير وبعض البطيئة . »

وابن يونس هذا عراقي المولد ، لكنه انتقل الى القاهرة ، وكان فلكي الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وقام بأرصاده في مرصد جبل المقطم . وقد استغرقت أرصاده هذه نحو عشرين سنة ، وضع على أثرها « الزيج الحاكمي الكبير » الذي أتمه قبل وفاته بقليل . وفي العبارة التي نقلناها من المقدمة أوضح الناحية العملية المتوخاة من ضبط الأرصاد وصنع الازياج . وقد بين في المقدمة أيضا الوسائل العملية والآلات اللازمة للقيام بالرصد



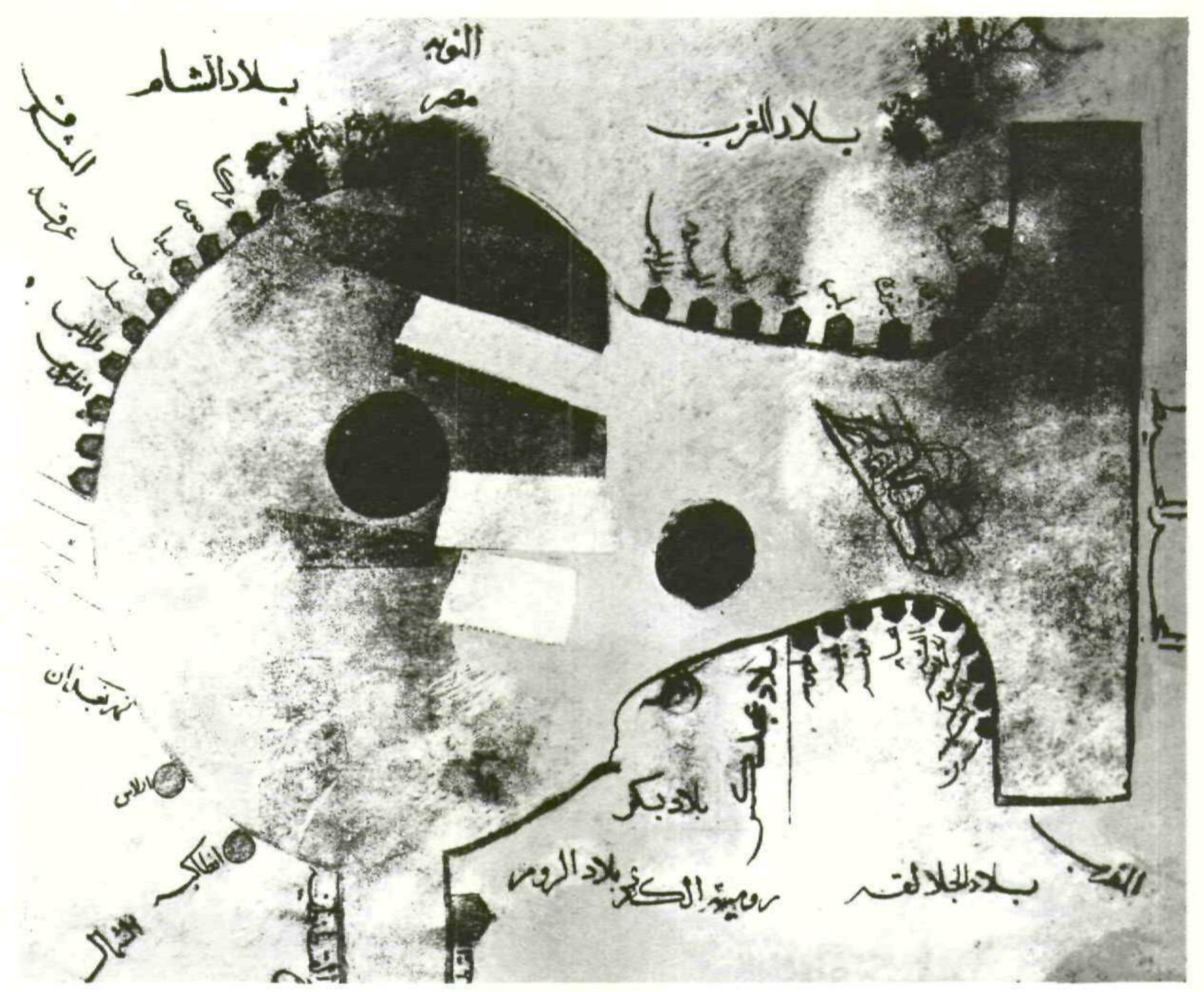
صورة أخرى مأخوذة من كتاب « المقدسي » .. وهي تمثل ديار الشام .

والحساب ، وكيفية الافادة من الجداول عمليا وعلميا . وقد صحح في زيجه الأرصاد السابقة ، وبذلك تمكن من تحديد مواقع ٢٧٧ مدينة .

تطالعنا

في هذه الفترة شخصية علمية فذة هي شخصية أبي الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة (١٠٤٨م) . وقد خلف هذا الرجل تراثا علميا ضخما ، يهمنا منه في هذا المقال الكتب التالية : « الآثار الباقية في القرون الخالية » ، و « تحقيق ما للهند من مقولة » ، و « القانون المسعودي » ، و « تحديد نهاية الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » . والبيروني ، الذي كان قد تمثل العلم الى أيامه ، حفظ لنا المذاهب القديمة في المعرفة الجغرافية الرياضية ، لكنه أظهر استقلالا كبيرا في توضيح ما وصل اليه . وكانت نظرته الى الأمور نظرة موضوعية عقلية . وجداول البيروني الفلكية فيها اصلاح لكثير من أخطاء سابقيه . وله في أنواع المعرفة الجغرافية الأخرى أيضا جولات هامة . وقد قال عنه كروازه « هكذا يقف البيروني أمام أعيننا بحاثة لا يعرف الكلل وعلامة وضع نصب عينيه أهدافا بعيدة المدى ، ولكنه في الوقت نفسه تطلب الكثير من غيره . وكان أمينا في منهجه العلمي لا تأخذه في الحقيقة لومة لائم ، اذا ما أبصر تلاعبا أو ضربا من الاهمال . لقد كان عالما واسع الأفق وسعت معرفته العلوم الدقيقة لعصره . »(١) ولعلّ مما يؤسف له ان

(١) الترجمة لصلاح الدين عثمان هاشم .



صورة تمثل البحر الأبيض المتوسط . وهي مأخوذة من الخريطة الأصلية التي وضعها الجغرافي « البلخي » .

البيروني لم يعرفه خلفاؤه من العرب معرفة تامة ، ولم يتح لكتبه الهامة أن تترجم الى اللغات الأوروبية ، فظل أثره في أوروبة محدودا .

و « جداول طليطلة » التي وضعها الزرقالي ، القرطبي المولد ، الطليطلي النشأة والعمل والنشاط العلمي ، وهو من أهل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، هي في مستوى عمل البتاني وابن يونس . يضاف الى ذلك ان الزرقالي اخترع اسطرلابا بلغ حدا كبيرا من الكمال ، وكان هو أكبر راصد في عصره في مغرب العالم الاسلامي . وزيجه معروف في ترجمة لاتينية له ، لا في أصله العربي الذي فقد على ما يبدو .

ومن الأزياج المشهورة « الزيج السنجري المعتبر » ، وهو الذي عمله الخازني للسلطان سنجر السلجوقي . ويبدو انه وضعه حول سنة ٥٢٠ (١١٢٦م) ، وذلك بمدينة مرو . وهذا الزيج ينحو منحى مذهب « السند هند » .

ويطول بنا القول لو نحن تتبعنا الأزياج كلها ، ولكن لا بد من الاشارة الى نصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٤م) والذي كان يعمل في مرصد مراغة . وهو الذي صنع الزيج الأيلخاني . وحري بالذكر ان مرصد مراغة كانت تقوم بجانبه مكتبة ضخمة . وقد أعد الطوسي مسودة جديدة للمجسطي ، وكانت أرصاده مع مقدمتها من خير ما وصل الينا .

وممن عاصر الطوسي ، وان اختلف عنه صقعا ، أبو الحسن المراكشي المتوفى سنة ٦٦٠هـ (١٢٦٢م) ، الذي وضع « جامع المبادىء والغايات الى علم الميقات . »

ويقترن آخر الأزياج الاسلامية باسم « ألوغ بك » ، وهو حفيد تيمورلنك المتوفى سنة ٨٥٣هـ (١٤٤٩م) الذي بنى مرصدا ضخما في « سمرقند » ، وكان يعمل فيه مع جماعة من أهل الرصد والعلم ، وبذلك تم على أيديهم وضع « زيج ألوغ بك » . ومع انه من المرجح أن يكون الزيج قد وضع بالفارسية أصلا ، فيبدو ان نسخة (أو ترجمة) عربية ، واخرى تركية ظهرتا في الوقت نفسه .

ولعلنا نحسن صنعا لو نحن نقلنا رأيا لأحد كبار المشتغلين بتاريخ الأدب الجغرافي والعلمي عند العرب والمسلمين في العرب والجغرافية الرياضية (كراتشوفكي) ، وهو :

« وزيج ألوغ بيك يختتم سلسلة تلك المصنفات الفلكية التي اقتفت أثر علماء عصر المأمون ، والتي لا تخلو من الأهمية بالنسبة للجغرافيا الوصفية ، رغما من اقتصارها على تحديد أطوال وعروض البلاد والمدن . وليس من السهل حصر عدد من يمثلون هذا الاتجاه بصورة كاملة منتظمة . وباستثناء حالات معينة فانه لا توجد خارطات للمادة الجغرافية التي تحتويها ، فالفلكيون أنفسهم لم يحاولوا القيام بذلك ، كما وان معظم

الجغرافيين لم تكن لهم دراسة بمسائل الفلك . والاستثناء الوحيد المثمر يمثله في النصف الأول من القرن الرابع (العاشر) سهراب الذي حفظ لنا نفس النظام الموجود لدى الخوارزمي ، ولكنه اهتم كثيرا بايراد المادة العربية المعاصرة له ، ولا يتطرق الشك الى صلته بالرياضيات من جهة ، وبالجغرافيا الوصفية من جهة أخرى . »

• • •

حري بنا ، وقد وصلنا الى هذه النقطة من الاستعراض التاريخي ، أن نعرض فيما يلي الى بضعة أمور تتعلق بالجغرافية الرياضية عند العرب :

قياس محيط الأرض : يبدو ان قياس محيط الأرض قد شغل علماء الفلك قديما . فقد خلفت لنا الرواية ان « ديكارخوس » حاول قياس المحيط ، وانه خرج بنتيجة هي ان محيط الأرض كان ٤٠٠ ٠٠٠ ستاديا يونانية . كما نقلت الرواية ان « أرخميدس » قال بأن محيط الأرض هو ٣٠٠ ٠٠٠ ستاديا . لكن « ارتوثسينس » هو أول عالم قاس محيط الأرض بطريقة علمية وصلت الينا تفاصيلها ، وذلك بفضل الخلاصات التي حفظها لنا « سترابو » .

كان « اراتوثسينس » يتولى ادارة مكتبة الاسكندرية الى حين وفاته سنة ١٩٦ ق.م. ولأنه أخذ بالقول بكروية الأرض ، فقد اهتم بقياس محيطها .

شاهد اراتوثسينس ان أشعة الشمس في يوم الانقلاب الصيفي كانت تصل الى أعماق بئر في أسوان ، أي انها لم تكن تترك ظلا قط . وكان يعتقد ان أسوان تقع على مدار السرطان تماما . لذلك ارتأى انه اذا أمكن قياس ظل لشيء موضوع في الاسكندرية في اليوم نفسه أمكن معرفة القوس على سطح الأرض بين أسوان والاسكندرية . ومعنى هذا انه يعرف مقدار الزاوية المتحصلة من التقاء خطين وهميين من أشعة الشمس في مركز الأرض في وقت واحد ، احدهما يمر بأسوان والآخر يمر بالاسكندرية . وقد اتضح من القياس هذا ان هذه الزاوية تعادل جزءا من خمسين جزءا من دائرة محيط الأرض . وكان « أراتوثسينس » يظن ان الاسكندرية وأسوان تقعان على خط طول واحد . ولما كانت المسافة بينهما هي خمسة آلاف ستاديا ، فمعنى هذا ان محيط الأرض هو حاصل ضرب هذه المسافة بخمسين أي ٢٥٠ ٠٠٠ ستاديا .

وليس من شك في أن الطريقة كانت علمية وجيدة . ولكن يجب أن نذكر بأن أسوان لا تقع على مدار السرطان تماما ، وانما تقع الى الشمال منه قليلا ، وان الاسكندرية لا تقع على خط الطول نفسه الذي تقع عليه أسوان ، وانما تقع الأولى الى الغرب منه . ويجب أن نذكر ان قياس المسافة بين المدينتين يومها لا يمكن أن يكون دقيقا بالقدر الممكن اليوم . يضاف الى هذا ان ذلك العصر كان يعتقد بأن الأرض كرة كاملة ، ومن ثم فانه لم يكن من الممكن التفريق بين دائرة عظمى قطبية والدائرة المحيطة بخط الاستواء . لذلك كانت النتيجة التي حصل عليها « اراتوثسينس » ، وهي ان محيط الأرض يبلغ ٢٤ ٦٦٢ ميلا أو ٣٩ ٦٩٠ كيلومترا .

وما دمنا بصدد الحديث عن قياس محيط الأرض فلنذكر المحاولة الأخرى لقياس محيط الأرض قياسا علميا ، وهي التي تمت في أيام الخليفة المأمون . فقد نقل الرواة ان المأمون أراد أن يتثبت من طول درجة من أعظم دائرة على سطح الأرض ، فطلب الى فلكي عصره القيام بذلك ووقع الاختيار على أولاد موسى بن شاكر ، وسند بن علي ، وخالد بن عبد الملك ، فسار هؤلاء مع الأعوان والمساعدين الى برية تدمر ، كما تم القياس أيضا في برية سنجار . ويبدو ان هؤلاء الفلكيين قاموا بالعمل أكثر من مرة حتى خرجوا بمعدل وهو ان الدرجة الواحدة طولها ٥٦ ميلا وثلثا الميل كما عرفه العرب . وقد استخرج « نلينو » من ذلك ان محيط الأرض اعتبر عندهم ٤١ ٢٤٨ كيلومترا ، وهو أقرب الى طول المحيط المعروف اليوم من القياس السابق .

المراصد في الاسلام : نود أن نضع أمام القارىء هنا ثبتا بأهم المراصد في الاسلام ، بادئين بما ذكرناه قبلا في هذا المقال ، لتتم الصورة التي أردنا أن نرسمها .

• يبدو ان المأمون هو الذي وضع تقليدا لانشاء المراصد في الاسلام ، فالذي نعرفه هو انه أنشأ مرصد « الشماسية » في بغداد ومرصد « قاسيون » بدمشق . ونتيجة الأرصاد التي تمت هناك ظهرت في « الزيج الممتحن » ، أو « الزيج المأموني » .

• في القرنين الثالث والرابع (التاسع والعاشر) أنشىء عدد من المراصد في ديار الاسلام . ويبدو ان بني شاكر كان عندهم مرصد خاص في دارهم التي كانت تقع في باب الطاق . وكان لأبي حنيفة الدينوري مرصد خاص في مدينته « دينور » ، وكان ركن الدولة البويهي راعي أبي حنيفة ومشجعه . وقد مر بنا ان البتاني كان يقوم بالرصد في الرقة . وممن قام في ذلك الوقت سليمان بن عصمة ومنصور بن طلحة ، وذلك في بلخ في أواخر القرن الثالث (التاسع) . وثمة الأرصاد التي قام بها عبد الله بن اماجور وابناه علي ومفلح في دمشق على الراجح في أوائل القرن الرابع (العاشر) . وفي شيراز قام عبد الرحمن الصوفي بارصاد في عهد عضد الدولة البويهي ٣٣٨ – ٣٧٢ (٩٤٩ – ٩٨٣م) . ولعل هذه كانت ، في أغلبها ، مراصد خاصة يقيمها الراصدون بتشجيع من أولي الأمر . ولكن شرف الدولة البويهي ٣٧٢ – ٣٨٠ (٩٨٣ – ٩٩٠م) بنى مرصدا في حدائق قصره ببغداد ، وقد ذكره القفطي في أخبار الحكماء باسم « بيت الرصد » ، وفيه عمل أبو سهل ويجان بن رستم القوهي .

• في عصر البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ (١٠٤٨م) اشتهر ثلاثة من رجال العلم بالارصاد ، هم : ابن سينا ، والبيروني ، وابن يونس . وقد كان للبيروني مرصد في خوارزم أولا ، ثم يبدو انه لما اتصل بخدمة الغزنويين أوجد له مرصداً يتابع فيه أرصاده في غزنة ، وقد بنى ابن سينا ، وهو معاصر للبيروني ، مرصدا في أصفهان بناء على رغبة أميرها علاء الدولة ، وكان المشرف المباشر على العمل « الجزجاني » . وقد مر بنا ان ابن يونس كان يقوم بالرصد في مرصد المقطم الذي بناه الحاكم بأمر الله الفاطمي .

• في القرنين الخامس والسادس (الحادي عشر والثاني عشر) ، وبخاصة بعد وفاة البيروني ، انتشرت المراصد في الاسلام بسبب قيام البلاطات المتعددة في دياره . فالمرصد الذي بناه ملكشاه السلجوقي ٤٦٥ – ٤٨٥هـ (١٠٧٢ – ١٠٩٢م) في أصفهان استمر عمله مدة طويلة . ومثله الذي أقامه الوزير الأفضل البطائحي في القاهرة سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) .

وقد أقيم مرصد في مرو في أيام السلطان سنجر السلجوقي المتوفى سنة ٥٥٢ه (١١٥٧م) ، وهو الذي كان الخازني يقوم فيه برصد الكواكب . ومع انه ثمة روايات تقول بأن اشبيلية الأندلسية عرفت مرصدا في وقت مبكر من حياتها ، فان المشتغلين بتاريخ المراصد في الاسلام ، مثل « ادين سايلي » ، لا يقبلون هذه الرواية على انها تاريخ . لكن « الزرقالي » كان يقوم بالرصد في القرن السادس (الثاني عشر) وفي مكان عرف باسم « قبة اشبيلية » . وكان في فاس « برج الكواكب » الذي كان يستعمل للرصد القمري .

ـ ليس من شك في ان القرن السابع (الثالث عشر) له مكانة خاصة بالنسبة الى انشاء المراصد ، وفي مقدمتها مرصد « مراغة » الذي يعتبر أعلى ما وصل اليه بناء المراصد في الاسلام ، ولا يستثني الباحثون مرصد ألوغ بك في سمرقند ، وفي مرصد مراغة كان يعمل نصير الدين الطوسي .

° ° °

ولعلّه من المستحسن أن نجمل هنا أثر هذه الجغرافية الرياضية ، ولا نقصد علم الفلك مجملا ، على أوروبة في العصور الوسطى بخاصة . ويتضح لنا ذلك اذا نحن ذكرنا على الأقل بعض الترجمات الى اللغة اللاتينية أو غيرها لآثار فئة من هؤلاء الجغرافيين المسلمين . فقد ترجم « ادلارد » جداول الخوارزمي الفلكية الى اللغة اللاتينية ، كما نقلها « هرمان » ثانية الى اللاتينية . والبتاني نقل زيجه الى اللاتينية سنة ١١٥٤ ، نقله « أفلاطون التيفولي » ، وعرف البتاني في الغرب باسم « البتجنوس Albateginus » وهو الذي ترجم الفرغاني أيضا . كما نقل « جيرار » الكريموني الزرقالي ، الذي عرف باسم « أرزاكليس Arzachelis » . وقام « هيو » بترجمة شرح البيروني على الفرغاني الى اللاتينية . وكذلك تمت ترجمة لشروح البيروني على جداول الخوارزمي في العصور الوسطى .

أما الآثار المباشرة للجغرافية الرياضية على أوروبة فيمكن ان نذكر بعضها فيما يلي :

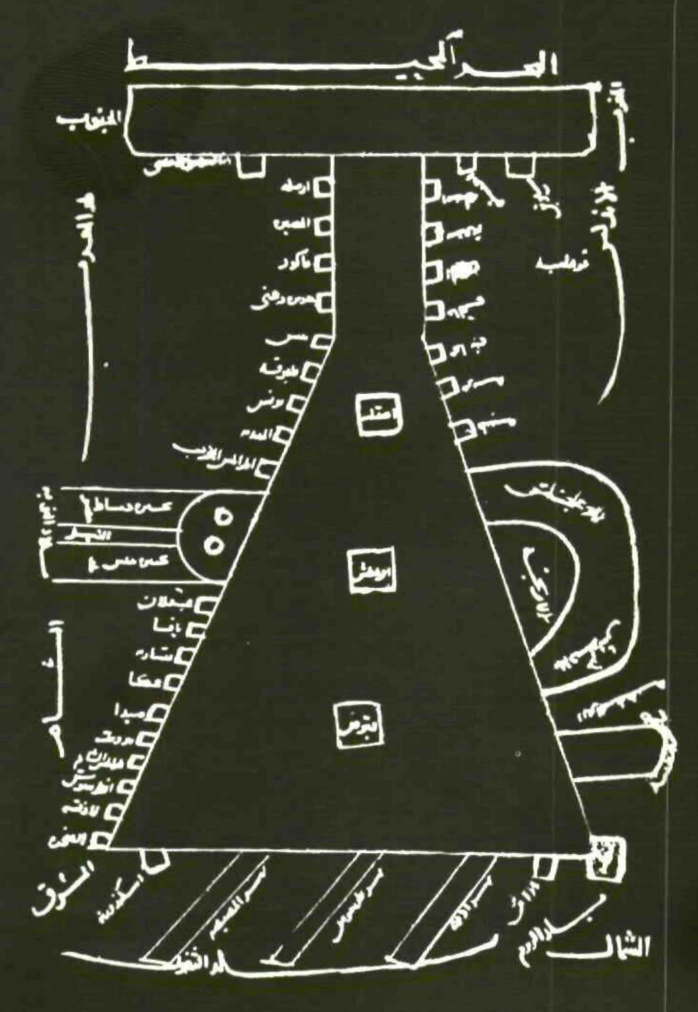
- ان أوروبة تعرفت الى بطليموس ومعرفته في ميدان الجغرافية الرياضية عن طريق العلماء العرب .
- عن طريق العرب تعرفت أوروبة الى أمور كثيرة تتعلق بالأجرام السماوية وحركاتها .
- قال أكثر الجغرافيين العرب بكروية الأرض ، ومنهم انتقلت الفكرة الى الغرب أولا . ومع ذلك انتشرت النظرية التي تعتبر الأرض مركز الكون .
- ان الجداول المختلفة ، مثل زيج البتاني وجداول طليطلة للزرقالي كان لها أثر حتى في عالم كبير مثل « كوبرنيكوس » .
- كان للبيروني مشاركة كبيرة في مساقط الخرط ، لكن رأيه لم يصل الى الغرب ، كما ان العرب أنفسهم لم يتابعوا ما توصل اليه .

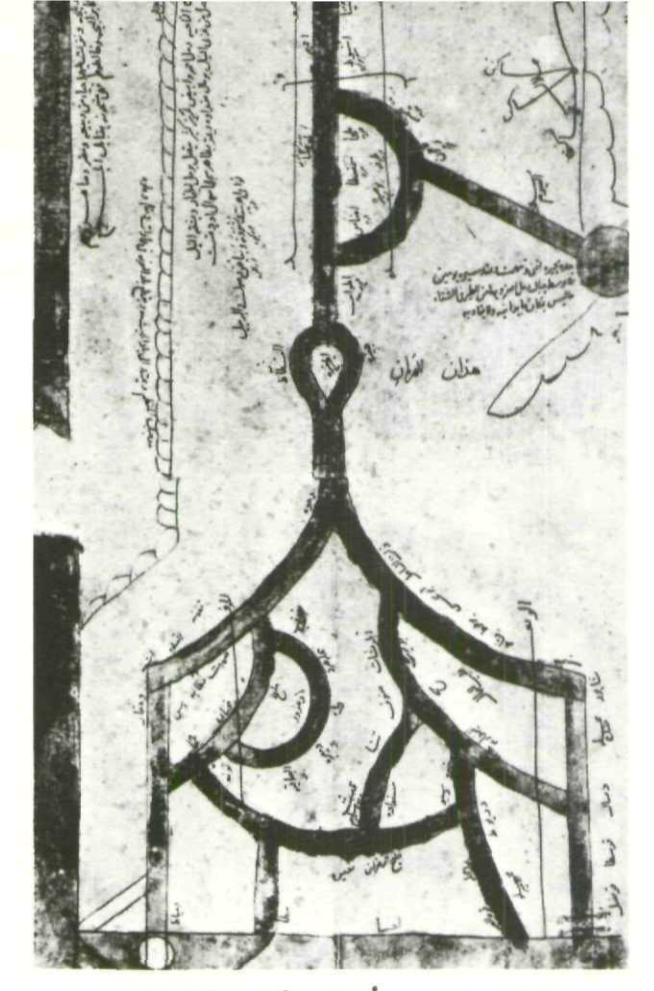
ونرى أن نختم هذا المقال بقطعتين منقولتين عن اثنين من جغرافيي القرن الثالث (التاسع) حول كروية الأرض واثبات ذلك ومركز الأرض من الكون .

يقول ابن خرداذبه ، المتوفى سنة ٢٧٢ه (٨٨٥م) في كتابه « المسالك والممالك » ما يلي :

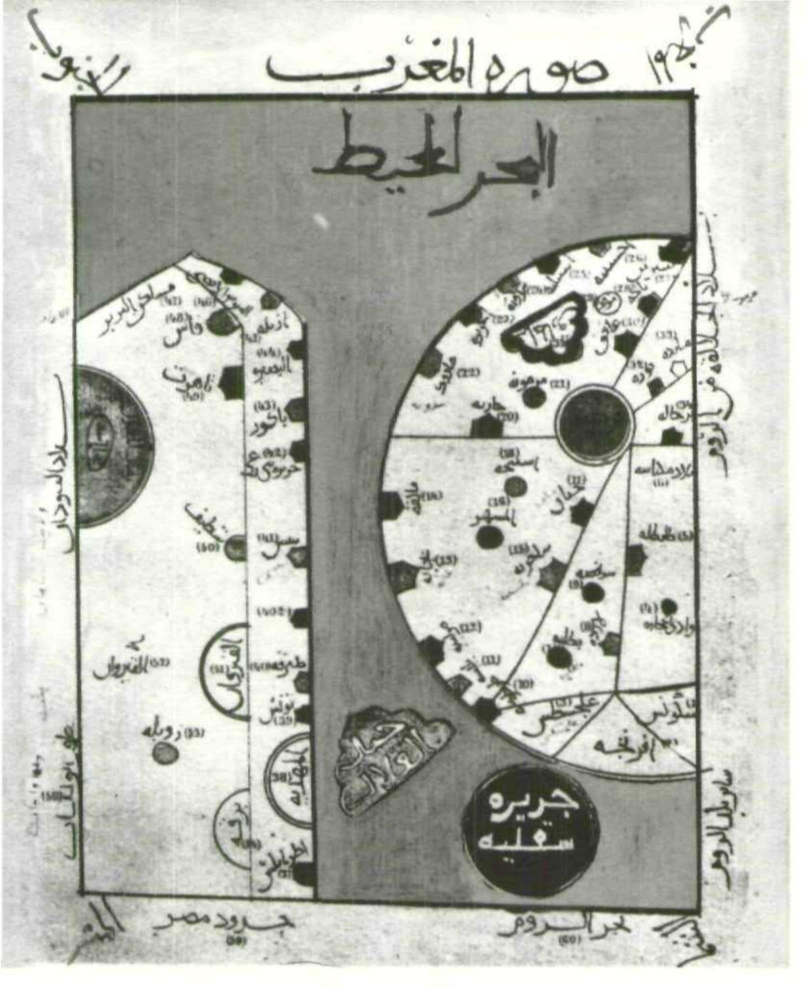
ان الأرض مدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة . والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها الى الفلك . وبنية الخلق على الأرض ان النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة ، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل ، لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد . والأرض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء ، وهو من المشرق الى المغرب ، وهذا طول الأرض ، وهو أكبر خط في الكرة الأرض ، كما ان منطقة البروج أكبر خط في الفلك .

صورة تمثل بحر الروم « البحر الابيض المتوسط » ، وهي مأخوذة من كتاب الجغرافي العربي « المقدسي » .





صورة تمثل بلاد مصر مأخوذة من كتاب « الاصطخري » .




صورة للمغرب العربي كما جاءت في كتاب « الاصطخري » .

وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل الى القطب الشمالي الذي يدور حوله بنات نعش . فاستدارة الأرض في موضع خط الاستواء ٣٦٠ درجة والدرجة ٣٥ فرسخا يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ . وبين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين ٩٠ درجة اصطرلابية ، واستدارتها عرضا مثل ذلك ، الا ان العمارة في الأرض بعد خط الاستواء درجة ، ثم الباقي قد غمره البحر الكبير . فنحن على الربع الشمالي من الأرض والربـع الجنوبي خراب لشدة الحر فيه ، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه . وكل ربـع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم . وذكر بطليموس في كتابه ان مـدن الأرض على عهـده كانت ٤٣٠٠ مدينة .

وجاء في كتاب « الأعلاق النفسية » لابن رسته ، المتوفى بعيد سنة ٢٩٠هـ (٩٠٣م) بقليل قوله :

أجمعت العلماء على ان الأرض أيضا بجميع أجزائها من البر والبحر على مثل الكرة ، والدليل على ذلك ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد ، بل يرى طلوعها على المواضع المشرقية قبل غيبوبتها عن المغربية ، ويتبين ذلك من الأحداث التي تعرض في العلو فانه يرى وقت الحدث الواحد مختلفا في نواحي الأرض، مثل كسوف القمر ، فانه اذا رصد في بلدين متباعدين بين المشرق والمغرب ، فوجد وقت كسوفه في البلد الشرقي منهما على ثلاث ساعات من الليل مثلا أقول : وجد ذلك الوقت في البلد الغربي على أقل من ثلاث ساعات بقدر المسافة بين البلدين ، فتدل زيادة الساعات في البلد الشرقي على ان الشمس غابت عنه قبل غيبوبتها عن البلد الغربي ، وكذلك لو نظر في انقضاض كوكب عظيم يعرف وقته في بلدين متباعدين على مثل ما وصفنا وجدت ساعات البلد الشرقي أكثر من ساعات البلد الغربي ... والدليل على ان الأرض في وسط السماء هو ما تقدم ذكره من أمر الكواكب ، وان جرم كل واحد يرى في جميع نواحي السماء على قدر واحد ، فيدل ذلك على ان بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فباضطرار أن الأرض تكون في وسط السماء . وان من أوضح ما استدل به على ذلك ان الأرض لو لم تكن في وسط السماء ، وكانت الى موضع من السماء أقرب منها الى موضع آخر لوجب أن يكون من يسكن بحيال ذلك الموضع القريب من السماء لا يرى من السماء الا أقل من نصفها أبدا ، وكذلك من يسكن بحيال الموضع البعيد من السماء يظهر له من السماء أكثر من نصفها أبدا ، وهذا خلاف ما ترى فيها لأن جميع الناس في جميع نواحي الأرض يظهر لهم من السماء أبدا ستة بروج ، ويغيب عنهم ستة بروج ، وهذا هو الدليل على ان الأرض في صغرها عند السماء مثل النقطة ■

عَـــوْدَةُ الغَرِيــبِ

للشاعر طاهر زمخشري

عـدت .. والوجـد لم يزل فـي اهابـي بعد أن طال عن حمـاك اغترابـي
كنـت فـي وحـدتـي أنـادم نفـسي صرت مـن لهفتي أطيـل ارتقـابـي
لأمـــان .. بهـا أبـدّد يـأسي ولقـاء بـه أعـالـج مـا بـي
فلقـد ضـاق بالحنين احتمـالـي بعـد أن ضـل فـي هـواك صوابـي
وطيـوف المنـى .. تنـاغـم فـي الأحـلام صبًّا مغـردا بالتصابـي
يترامـى بـه الخضم ، وفـي يمنـاه مجـداف .. خافـق .. مطـراب
تتلهـى بـه الـرؤى .. صاغهـا الحسن .. وروى فتونهـا بالشباب
وتهـادى بهـا على اللجّة الدكنـاء .. فـي بـردة مـن الضياء المذاب
فـي شعاع الأصيـل ، فـي الساحـل الأزرق ، عنـد المـاء .. فـوق العباب
والـشراع الرفـاف بالفـرحـة الجـذلـى يغـذ الاسـراء للأحبـاب

. . .

عـدت ، والليـل حـالـك الجلبـاب بأنيـني ، وحـيرتـي واضـطرابـي
لا تـرى العيـن فـي المتـاهـة الا مصرع الـواهـين .. مـلء الـرحـاب
بعـثرتهـم عـلى الـدروب المقـادير وأدمتهـم بسـوط عـذاب
والـدجـى حـالـك الجـوانـب والأطـراف يرمـي بـلاهـب صخّـاب
وأنـا فـي مـداه أرنـو الـى الزهـراء .. لفّـت فتونهـا فـي نقـاب
فـي وشـاح بـه الأنامـل أخفـت زهـرات الخميـل فـوق حجـاب
وعـلى الطـرف عنفـوان التـحـدي كـم أجـاد الاغـراء بالأهـداب
كلمـا راش سهمـه وانتضـاه صاد مـن رامـه بعيـن الصـواب
وعيـون الـدجـى مـع الحائـر القابض فـي حيـرة رتـاج البـاب
والفـؤاد الرفـاف فـي معبر التيـه يغـذ الاسـراء للأحبـاب

. . .

عـدت والشمس فـي ازار السحـاب فـي أصيـل موشـح بالضبـاب
والخميـل الـذي يـردد بالأنفـاس مـن ورده نشيـد الـربـاب
قـد أدار الحـديـث مـن رقـة الأسحـار بردا مـن دفق نـور مـذاب
يتهـادى الحـوار فيـه عـن الصبـوة .. عـذب السؤال .. حلـو الجـواب
كيـف حـال الهـوى ؟ وكيـف ليـاليـه ؟ وبيض الرؤى ؟ وخضر الـروابـي ؟
وشعـاع الأصيـل ينشر فـي الأجـواء رجـع الصـدى للحـن التصابـي

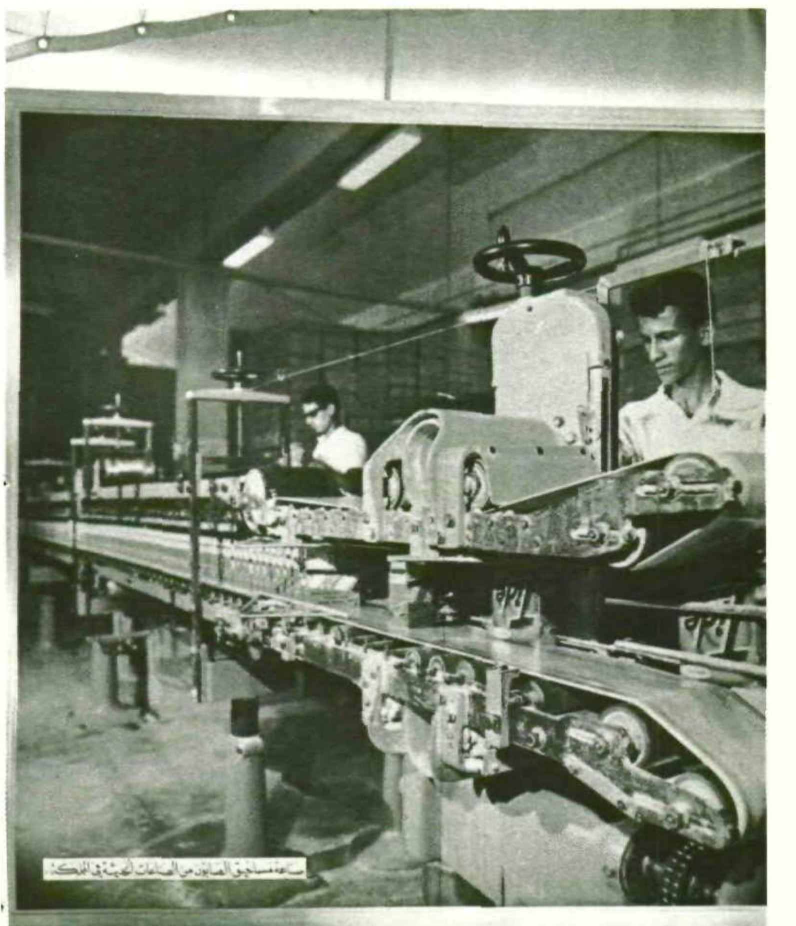
. . .

وانطـلاق الوجيب بالفرحـة الجـذلـى يصـب الصفـاء فـي الأكـواب
للقـاء مـا دام الا ثـوان فـي ظـلال مـن الأماني العـذاب
فـوق هـام السحـاب عـبر أثـير ضم قلبـين فـي السنـا المنساب
وهـو بالنشوة التـي تنعش الـروح يـغـذ الاسـراء لـلأحبـاب







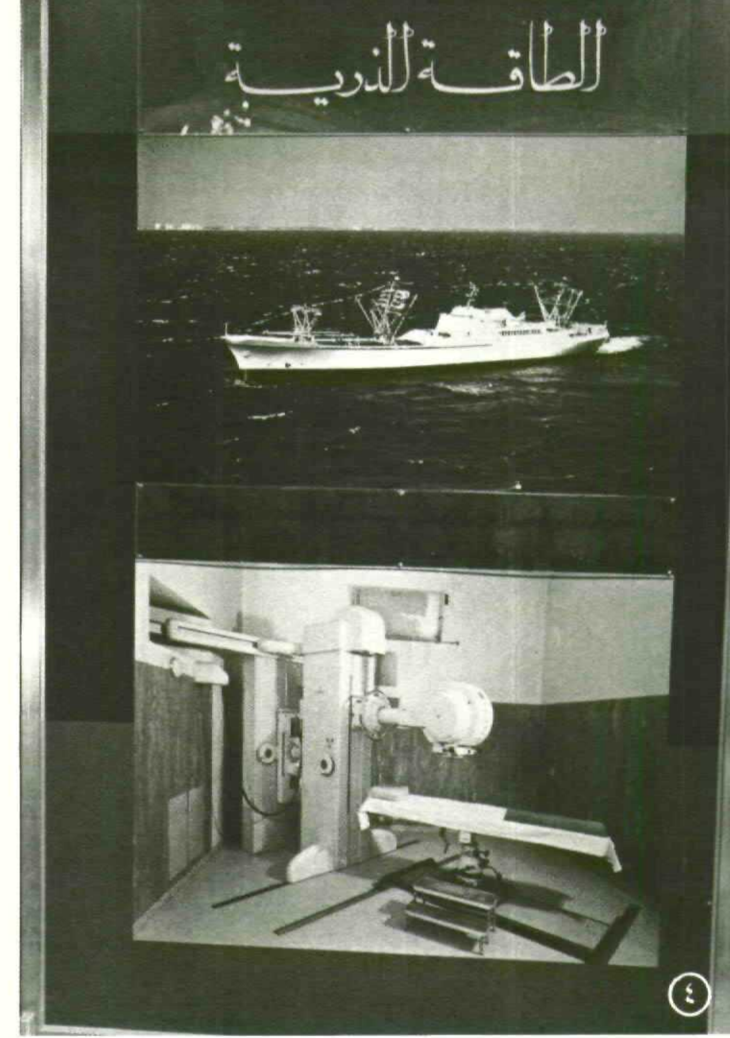


مَعْرِضُ صِنَاعَةِ الزَّيْتِ

١ – مشهد لمعرض صناعة الزيت المتنقل لدى افتتاحه في الهفوف عام ١٩٥٩ .

٢ – عدد من الطلاب والأساتذة يشاهدون نموذجا مصغرا لأحد أبراج الحفر ويستمعون الى شرح عن عمل هذا البرج من قبل أحد العاملين في المعرض الدائم .

٣ – لقد أولت المملكة اهتماما بالتطور الصناعي ، وهذه لوحة تمثل أحد مصانع مساحيق الصابون الحديثة .



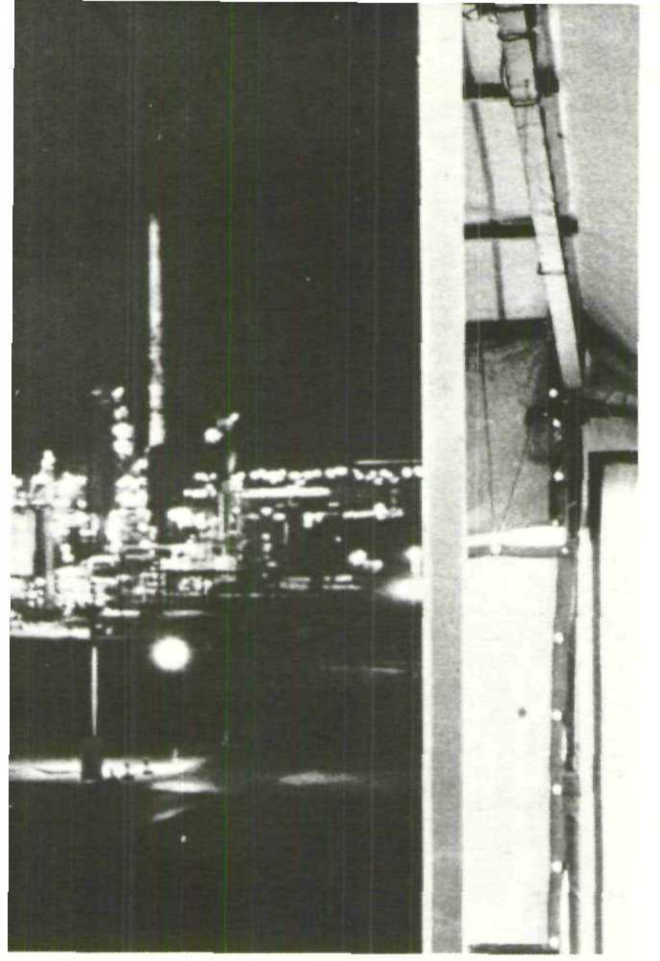
نبذة تاريخية

كانت المعارض ، وما زالت ، المرآة التي تعكس تقدم الشعوب ورقيها ، وهي ، فضلا عن كونها أسواقا تجارية هامة ، تبرز بين أجنحتها التقدم الكبير الذي حققته الكثير من الدول في مختلف الحقول والميادين ، وتلعب دورا حيويا في تعريف الأمم الأخرى بمختلف الحضارات والنشاطات الصناعية والتجارية والعمرانية والاجتماعية ، مما دفع كبريات الدول الى التوسع في الاشتراك في المعارض التي أقيمت في جميع أنحاء العالم .

ولا يعرف بالضبط تاريخ اقامة أول معرض ، فقد كانت المعارض في الماضي تقام بطرق وأشكال مختلفة ، لكنها كانت تقود في النهاية الى الغايات نفسها التي تسعى المعارض لتحقيقها في هذه الأيام . لقد أدخل الرومان فكرة اقامة المعارض الى شمال أوروبا تشجيعا للتجارة مع البلدان التي امتدت اليها فتوحاتهم وتعريفا بحضارتهم ، فجنوا من وراء ذلك فائدة مزدوجة . كما كان المصريون يقيمون معارضهم على أرض المدافن أو بالقرب من المعابد . أما اليونانيون فكانوا يقيمون المعارض في الأعياد ومواسم الحصاد .

٤ – الطاقة الذرية مورد هام من موارد الطاقة في العالم .

٥ – جناح المملكة العربية السعودية في معرض « اكسبو » في أوساكا باليابان الذي افتتح في ١٥ مارس ١٩٧٠ ، والذي كان ضمن الأجنحة العشرة الأول التي نالت جوائز تقديرية .



وقد عرف العرب فكرة المعارض منذ آلاف السنين عندما كانت تقام الأسواق في الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات ، وأشهر تلك الأسواق اطلاقا « سوق عكاظ » ملتقى التجار والشعراء على السواء .

المملكة العربية السعودية والمعارض الدولية

يرجع تاريخ اشتراك المملكة العربية السعودية في أول معرض دولي الى عام ١٩٥٤ ، حين اشتركت في معرض دمشق الدولي الأول ، وأخذت منذ ذلك الحين تواصل اشتراكها في معارض دولية عديدة في أنحاء مختلفة من العالم كان من بينها معرض « اكسبو » العالمي بأوساكا في اليابان، في ١٥ مارس ١٩٧٠ . وقد أولت المملكة هذا المعرض اهتماما بالغا حتى جاء الجناح السعودي معبرا أصدق تعبير عن المنجزات العديدة التي حققتها المملكة . وقد حظي جناح المملكة بمعرض « اكسبو » العالمي باقبال منقطع النظير ، اذ قدر عدد الذين زاروه بأكثر من مليوني نسمة ، وكان أحد المعارض العشرة التي نالت جوائز تقديرية . ويواصل قسم المعارض التابع لوزارة التجارة السعودية التخطيط للاشتراك في المعارض الدولية العديدة التي تقام في مختلف أقطار العالم .

أرامكو ومعارض صناعة الزيت

لما كانت صناعة الزيت تمثل الجزء الأكبر من القطاع الصناعي في المملكة العربية السعودية ، فقد أحس المسؤولون في شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو » بضرورة تعريف الأهلين ، وخاصة الجيل الناشىء في المملكة ، بمراحل هذه الصناعة الحيوية . وقد انبثقت فكرة اقامة معرض متنقل لصناعة الزيت اثر اشتراك « أرامكو » في جناح المملكة العربية السعودية في معرض دمشق الدولي عام ١٩٥٤ ، وكان هذا أول معرض دولي تسهم فيه المملكة العربية السعودية آنذاك . وقد شكلت معروضات الشركة في الجناح السعودي النواة الأولى لمعرض صناعة الزيت المتنقل الذي لقي نجاحا وتجاوبا كبيرين من قبل مختلف الهيئات ، مما حمل الشركة على مواصلة تطعيمه بالمزيد من اللوحات والبيانات التي تحكي قصة صناعة الزيت منذ تكوينه في باطن الأرض قبل ملايين السنين والتنقيب عنه وتصنيعه ، ثم شحنه الى أسواق العالم الحر .



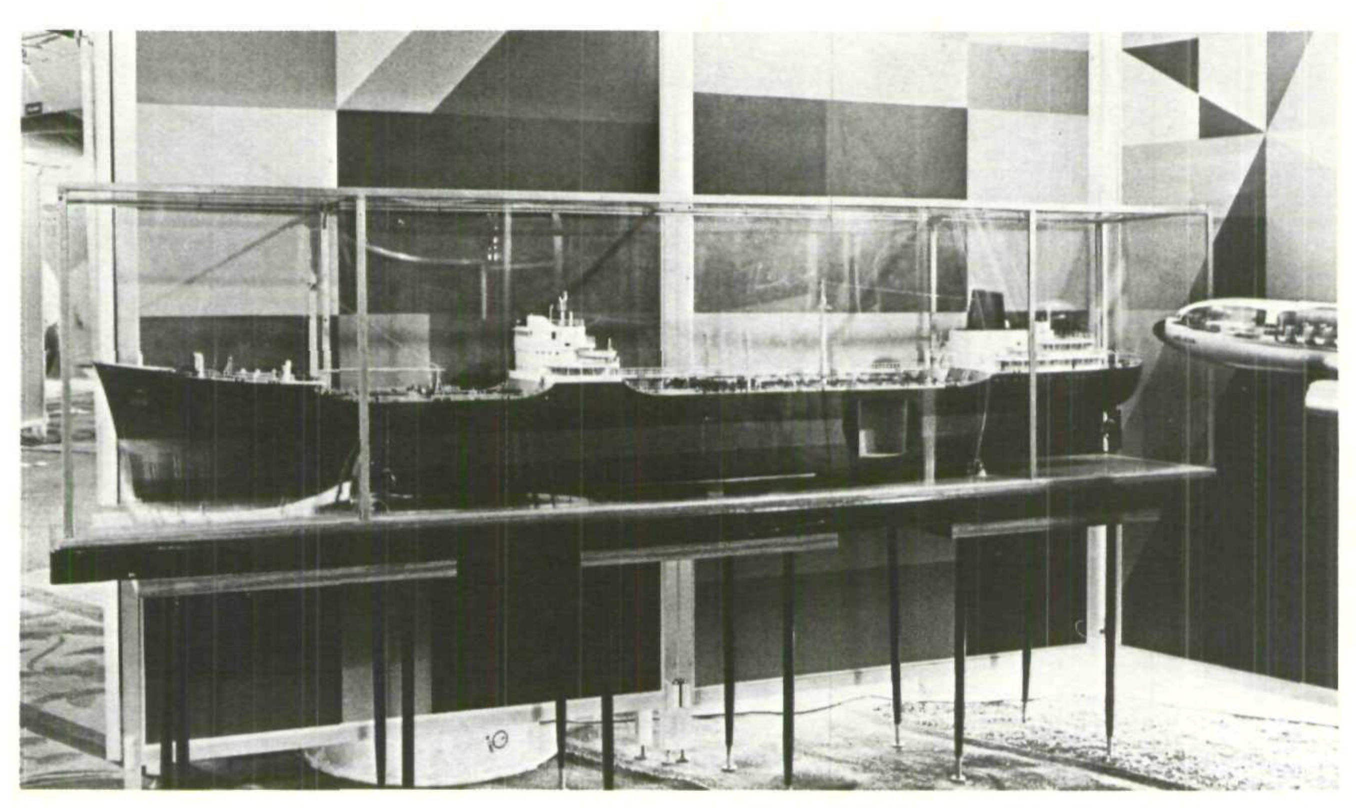
الأهداف التي حققها المعرض والبلدان التي زارها

كان الهدف الأساسي وراء فكرة اقامة معرض صناعة الزيت المتنقل هو اتاحة المجـال أمام المواطنين للتعرف الى أطوار هـذه الصناعة الحديثة في المملكة ، والبالغة الأهمية بالنسبة اليها . ونظرا لاتساع أرجاء المملكة ، وتعذر وصول العديد من أبنائها الى المنطقة الشرقية ، حيث تقوم صناعة الزيت ، كان لا بد من اقامة معرض يتنقل بين مختلف المدن والقرى داخل المملكة العربية السعودية لتمكين أكبر عدد ممكن من سكان هذه القرى والمدن من الالمام بهذه الصناعة المعقدة والاطلاع عن كثب على معالمها المتعددة ، وذلك عن طريق النماذج المصغرة والصور والرسوم البيانية والخرائط واللوحات وغيرها .

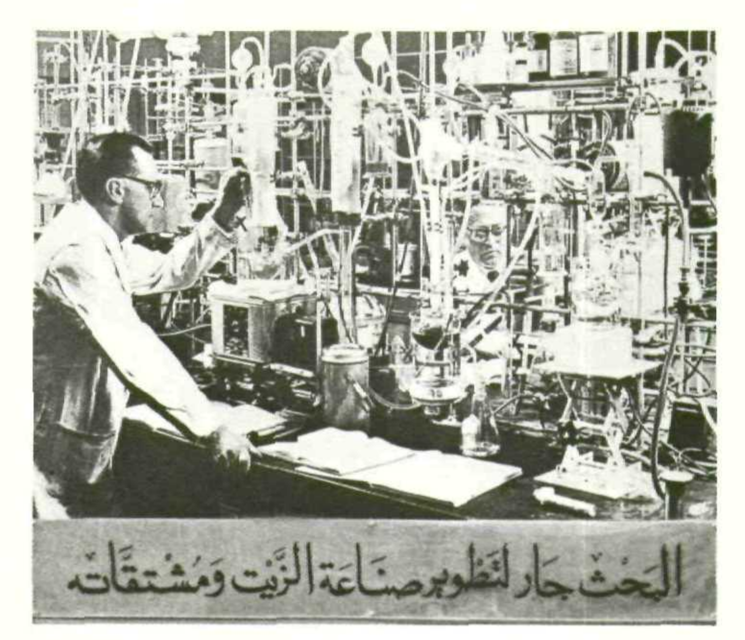
منظر ليلي لمعمل التكرير برأس تنورة .

منظر لأحد شوارع الرياض وهو دليل على مدى التقدم المعماري في تلك المدينة .

زوار يفدون الى معرض صناعة الزيت المتنقل في بلدة « الخماسين » بوادي الدواسر عام ١٩٦٥ .



نموذج لاحدى ناقلات الزيت الضخمة التي تسير بالطاقة المتولدة من الزيت .



يواصل العلماء اجراء المزيد من الأبحاث لتطوير صناعة الزيت ومشتقاته ووضعها في خدمة المدنية .

وقد بدأ معرض صناعة الزيت المتنقل نشاطه داخل المملكة العربية السعودية في عام ١٩٥٥ في الظهران، وكان يتألف في ذلك الوقت من جناحين . وفي عام ١٩٦٠ زود بجناح ثالث ، وأضيف اليه المزيد من اللوحات والنماذج والخرائط والبيانات. كما زود بسماعات يستطيع الزائر بواسطتها الاستماع الى شرح مستفيض مسجل على شريط خاص يعطيه فكرة عن اللوحة التي أمامه وكل ما يتعلق بها من معلومات . وأخذ المعرض بفكرة عرض أفلام ثقافية وصحية وأخرى تبحث في شؤون الزيت ، وقد لاقت هذه الأفلام التثقيفية اقبالا كبيرا من سكان المدن والقرى التي أقيم فيها المعرض .

هذا وقد بلغ عدد المدن والقرى التي زارها المعرض المتنقل داخل المملكة منذ نشأته حتى اليوم ٤٩ مدينة وبلدة ، كما أعيد افتتاحه أكثر من مرة في عدد من المدن . وقد بلغ عدد الذين أتيحت لهم فرصة مشاهدة هذا المعرض المتنقل أكثر من مليوني نسمة ، وكانت « الزلفي » هي آخر بلدة زارها معرض صناعة الزيت المتنقل في ١٥ ربيع الأول عام ١٣٩١هـ (٢٠ ابريل ١٩٧١م) .

محتويات المعرض

يتكون معرض صناعة الزيت المتنقل ، كما أشرنا آنفا ، من ثلاثة أجنحة ، تحتوي على حوالي ٨٥ لوحة وبيانا . ويرمز بعض هذه اللوحات للطاقة ومصادرها وأوجه استعمالها في العالم ، كما توضح مصادر الطاقة الأخرى الكامنة في سرعة هبوب الرياح ، وحرارة أشعة الشمس ، ومساقط المياه ، والفحم الحجري ، والبخار ، والطاقة الذرية . بينما يحكي عدد آخر من اللوحات قصة تكوّن الزيت منذ ملايين السنين وكيف استخدمته الشعوب القديمة ، قبل آلاف السنين . كما تبين لوحات أخرى عمليات التنقيب والحفر والانتاج ، بالاضافة الى طرق معالجة الزيت وتصنيعه وشحنه ..

ومن بين اللوحات الأخرى التي تشملها معروضات المعرض ما له علاقة مباشرة بحياة موظفي الشركة ، كأنظمة العوائد ، والعلاج ، والادخار ، وتملك البيوت ، ومنها ما يعكس النشاطات التي يزاولها الموظفون . كما خصصت لوحات أخرى تحكي قصة تطور المملكة العربية السعودية في المجالات المختلفة .

معرض صناعة الزيت الدائم في الظهران

يحظى معرض صناعة الزيت الدائم بالظهران باهتمام مختلف الأوساط الثقافية والصناعية ، فهو مرجع دقيق لكل ما يتعلق بصناعة الزيت ، ويستطيع الزائر لهذا المعرض أن يحمل فكرة مقتضبة عن تاريخ صناعة الزيت في المملكة العربية السعودية منذ أن جرى توقيع أول اتفاقية للتنقيب عن الزيت عام ١٩٣٣ حتى يومنا هذا . كما يستطيع التعرف الى التكوين الطبوغرافي للمملكة ولأماكن حقول الزيت فيها ، وبواسطة اللوحات المضاءة التي تعم أرجاء المعرض يستطيع الزائر الالمام بكيفية تكون الزيت منذ ملايين السنين ، وكذا يتمكن من الوقوف على العمليات والأساليب المتبعة في هذه الصناعة منذ استخراج الزيت من باطن الأرض حتى وصوله الى أيدي المستهلكين على شكل خام أو منتجات مكررة .

وقد افتتح معرض صناعة الزيت الدائم في الظهران عام ١٩٦٣ بعد أن أصبحت الحاجة ملحة لاقامة مثل هذا المعرض . ويقوم المعرض بتوجيه الدعوات للمدارس ورجال الصناعة في البلاد والزوار الوافدين الى المملكة لزيارته والاطلاع على محتوياته .

وتتوفر في المعرض مجموعة من الأفلام الثقافية وأخرى عن صناعة الزيت يجري عرضها في أوقات الزيارة .

معرض صناعة الزيت المتنقل في شكله الجديد

نظرا لاتساع شبكة المواصلات الحديثة في المملكة ، وتأمين الاتصال البري بين مختلف المدن والقرى ، رأى المسؤولون في الشركة اعادة تصميم هيكل معرض صناعة الزيت المتنقل بطريقة حديثة تضمن له سرعة الحركة وسهولة الانتقال من مكان الى آخر ، فجرى تصميم قاطرة كبيرة تستطيع استيعاب جميع محتويات المعرض المتنقل وتتيح له فرصة الانتقال الى أكثر من مكان في البلد الواحد ، كما يستطيع المعرض في شكله الجديد زيارة المدارس وعرض لوحاته في قاعاتها ، وفي الساحات العامة .

وتتألف محتويات المعرض المتنقل في شكله الجديد من لوحات مصغرة عن الزيت تشبه اللوحات التي كانت تعرض في أجنحة المعرض القديم ، الا أنها أصغر حجما منها ، لكنها تعطي الفكرة نفسها وتحكي القصة ذاتها .. قصة اكتشاف الزيت والمراحل العديدة التي يمر بها حتى وصوله الى الأسواق العالمية . هذا ومن المنتظر أن يبدأ معرض صناعة الزيت المتنقل الجديد نشاطه في نهاية عام ١٩٧١ .

أما المعرض المتنقل القديم فقد جرى توزيع بعض لوحاته على المدارس والمعاهد التي تستطيع الاستفادة منها في دراساتها عن الزيت ، بينما قدم هيكله بأجنحته الثلاثة الى جمعية الهلال الأحمر السعودي لاستخدامه كمستشفى متنقل في مواسم الحج ■

تصوير : برنت مودي ، و. ف . ك . أنطوني

يعقوب سلام

الخليفة سهران

بقلم الاستاذ عبد الله حشيمة

— لقد نال مني التعب ، يا أسلم ... دعنا نجلس على هذه الحجارة فينة ، ونستأنف بعدها التطواف .

قالها الخليفة عمر بن الخطاب لصاحب شرطته أسلم ، بينما هما يطوفان في المدينة متنكّرين ، للاطّلاع على ما يمكن الاطّلاع عليه من شؤون الأهلين وشجونهم .

وكان التعب بالفعل قد نال من الخليفة ، فقال أسلم :

— أعزّ الله أمير المؤمنين .. لم يبق من الليل الا أقله ، فهلاّ عدنا الى حيث تأخذ لنفسك قسطا من الراحة ؟

قال الخليفة :

— في المدينة من لم ينم بعد ... وقد يكون في الساهرين من هو بحاجة الينا ، وربّ حسنة يأتيها ابن الخطاب في سبيل الله أدعى الى راحة نفسه وطمأنينتها من الاستسلام للذة النوم .

وكانا في جوار كوخ حقير .

وقبل أن ينهي الخليفة قوله ، طرق سمعه حديث يدور في داخل الكوخ ، وأحسّ كأن شعورا عميقا يدعوه الى استراقه ، فقال لأسلم :

— أتسمع ؟

قال أسلم ، وقد أصغى بدوره :

— حديث بين امرأتين .

قال الخليفة مهتما :

— امرأتان من أهل البؤس .. وقد تكونان من أهل الظلامات ، ولا أخال الا أن العناية الالهية أوصلتنا الى هنا للاستماع اليهما وانصافهما .

وبين امرأتين كان الحديث . قالت احداهما وكانت هي الكبرى ، وفي لهجتها شيء من الحدة والتأنيب :

— قومي يا وطفاء الى اللّبن وامزجيه .. أما سمعت ؟

قالت الصغرى متململة :

— سمعت ، يا أماه .

— وما يقعد بك عن تلبية الأمر ؟

— أمر من أمره أولى بأن يطاع .

— ومن ذاك ؟

— أمير المؤمنين .. أما نادى مناديه في المدينة بألا يشاب اللبن بالماء ؟

— وأين أمير المؤمنين ليرى ما نعمل ؟

— ما لا يراه أمير المؤمنين يراه الله .. وما كنت ، أنا المسلمة المؤمنة ، لأطيع من أطاع الله فينا علنا ، وأعصيه في الخفاء .

— ولكن يا بنية ..

قالتها الأم ، وكأن ثمة عاملا غير عامل الايمان يجرحها .. ووطفاء لا تجهل هذا العامل ، ولكن ايمانها بالله كان أقوى منه . قالت :

— لا تحاولي التأثير عليّ بما نعاني من مضض الفقر والحاجة ، ودعيني آكل اللقمة التي نربحها معجونة بدم العزّة والصدق ، لا بماء الذلة والكذب على الله والناس .

وتوقف الحديث في الكوخ ، فقال الخليفة :

— حسبي ما سمعت ، يا أسلم .. فما كان الله سبحانه وتعالى ليعظني بما هو أبلغ من هذا لأمضي في طاعته .

قال أسلم :

— وما رأي أمير المؤمنين في ما سمع ؟

قال الخليفة :

— ان في هذا المنزل لحاجة ملحّة الى ما يوفر لمن فيه أسباب العيش .

— ليس للمرأتين كما يبدو معيل .

— ولا مورد لهما سوى ضرع لا يغني درّه عن الاحتيال لسدّ حاجتهما .

وتحركت في نفس الخليفة الكبير عوامل الرحمة ، تلك التي كثيرا ما حملته على انكار ذاته في سبيل حسنة يأتيها طوعا لله ورسوله . قال :

— علّم المكان ، يا أسلم .. وغدا تنظر بأمر من فيه ، وتوافيني بالخبر اليقين .

* * *

الفقراء لهم الله .. كم يعانون من دنياهم ، ولا يجدون ملاذا لهم الا الله . ومنهم كانت وطفاء وأمّها .

واذا راحت الأم باللبن تبيعه ، والأمل كلّه معقود على الدريهمات التي ستعود بها ، كانت الابنة تضرع اليه تعالى قائلة :

— أللهمّ اجعلني أنا اليتيمة لا أقنط من رحمتك ، وأنت من أوصيت بالأرملة واليتيم والعاجز ، وفسحت للمحسنين اليهم في جنتك ، انك اللهمّ أرحم الراحمين .

وقبل أن تنتهي من ضراعتها ، وترتاح الى ما يبعث اتكالها على الله في نفسها من سكينة ، عادت الأم وهي تتعثر بالدمع ، فقالت لها جزعى :

— مالك ، يا أماه ؟

قالت الأم مجهشة بالبكاء :

— آه ، يا بنية .. ليتني مت قبل أبيك ، ولم أغدو الى الدرك الذي انحدرت اليه من الذّل .

— من الذّل ! .. أي ذلّ ؟

— ذلّ الحاجة الى بيع اللبن للناس ، والتعرّض لألسنة اللئام منهم ، وفي النفس بقية عفّة عن مقابلة اللؤم باللؤم .

— هلاّ أفصحت ، يا أمّاه ؟

قالتها وطفاء وهي تبكي بدورها ، فكان على الأم أن تتمالك رأفة بها : قالت :

— غير واحد تعرّض لي اليوم بتهمة الغشّ ، وكاد أخيرهم يسلّمني للشرطة ويفضحني ، لولا سيّد كريم يدعى أسلم .

وقبل أن تنهي قولها طرق الباب ، فتوقّفت عن الكلام مصغية ، وهي تجتهد في تهدئة روعها .. وطرق الباب ثانية ، فقالت :

— افتحي يا وطفاء لنرى من الطارق .

ولم يكن الطارق غير أسلم .

كان منذ الصباح يتبع المرأة مراقبا ، وقد خرجت لبيع لبنها في السوق ، وحين اعترضها من اتهمها بالغشّ تدخّل وأنقذها .

ولحق بها الى كوخها ، ولدى دخوله عليها وعلى ابنتها لم يخف عليه ارتباكهما ، فحيّاهما بكثير من اللطف ، قائلا :

— السلام عليكما .

قالت وطفاء :

— وعليك السلام ، ورحمة الله .

قال مقدّما نفسه :

— أسلم ، من قبل أمير المؤمنين .

قالت وطفاء مضطربة :

— من قبل أمير المؤمنين ! ؟

وردّت الأم خائفة :

— أسلم ، من قبل أمير المؤمنين ! ؟

وتابعت وطفاء :

— هل من شكوى علينا ؟

قال مطمئنا :

— عدل أمير المؤمنين فوق الشكاوي .

قالت الأم مطمئنة :

— أعزّه الله وأبقاه .

وقالت وطفاء :

— ونحن أطوع الناس لأمره .

قال مبتسما :

— هو يعلم هذا .

قالت وطفاء دهشة :

— هو يعلم .. وأين هو منا ، وممّا نحن فيه ، ليعلم ؟

قال : أتشكين في سهره على الرعيّة ! ؟

قالت : لا ، ولكن نحن فقراء ، وليس لأمير المؤمنين متّسع من الوقت للاهتمام بنا ، في حين أن له من مشاغل الدولة ما هو أولى بالاهتمام .

قال : هو يعلم حكاية مزج اللبن بالماء .

فانتفضت الأم صارخة :

— آه ..

ولم تر وطفاء بدّا من التمالك ، قالت :

— اذا كان هذا ، فهو يعلم ..

فقاطعها قائلا :

— كل شيء ، أما من معيل لكما ؟

قالت وطفاء بمرارة :

— لا .

وقالت الأم باكية :

— كان لنا معيل ، وانتقل الى جوار ربّه .. وكان لنا ما يغنينا عن ذلّ الحاجة ، واستأثر به من لم يتّق الله فينا .

قال أسلم :

— ومن ذاك ؟

— حسّان بن عدّي .

— حسّان بن عدي ، التاجر المعروف .. وما حكايته معكما ؟

— كان زوجي شريكه في الاتجار مع الشام ، وكان يمضي بالقوافل من هنا محمّلة ، ويعود بها من هناك محمّلة ، وتتوافر في الحالين الأرباح .

— وبعد ؟

— وفاجأ القدر زوجي في احدى رحلاته ، وبت انتظر أن يدعوني ابن عدّي للمحاسبة ، واذ لم يفعل مضيت أنا اليه .

وروت ما كان بينها وبين ابن عدّي روته باكية .

ذلك أن الرجل أنكر أن يكون زوجها قد ترك مالا ، وقال انه لم يك شريكا له في تجارته ،

بل كان أجيرا عنده .. وعبثا حاولت تذكيره بأنها أرملة ، ولها بنت يتيمة قاصرة ، وبأمثالهما أوصى الله المؤمنين خيرا . وقالت له أخيرا :

– الى الله اذن أشكوك .. انه أعلم العالمين ، ومنه أطلب الانصاف .

قال أسلم متأثرا :

– هذه حكايتكما وابن عدّي ؟

قالت : أي ، والله .

– ومن كان زوجك ؟

– علقمة بن زيد .

– وأنت ، ما اسمك ؟

– جميلة ، وابنتي وطفاء .

قال : سيأخذ أمير المؤمنين علما بدعواكما يا جميلة ، وسيكون لكما من عدله ما لأي ضعيف من أبناء رعيته ، وأوصيكما بالكتمان .

° ° °

– العدالة ، يا أسلم للجميع ، أريدها للضعيف قبل القويّ ، وللفقير قبل الغني

قالها الخليفة لصاحب شرطته ، وقد حمل اليه هذا الخبر الذي أراده عن امرأة الكوخ وابنتها ، وتابع قائلا :

– واذا افتقر المظلوم الى الأدلة لاثبات دعواه ، فهل نفتقر نحن الى وسيلة لدفع الظلم عنه ، من غير أن نسيء الى ظالمه الا بقدر ما أساء هو بظلمه الغير الى نفسه ؟

قال أسلم :

– لأمير المؤمنين الرأي والأمر .

قال الخليفة :

– تقول امرأة علقمة أن زوجها كان شريك حسّان في اتجاره مع الشام .

– هذا قولها .

– ويقول حسّان ان علقمة كان أجيره لا شريكه .. أيّ الاثنين : امرأة علقمة ، أم حسّان ، صادق في قوله ؟

– هذا ما علينا الحصول على دليل لاثباته .

– أريد الحصول على الدليل .

وأطرق الخليفة يفكّر ، ثم قال :

– اسمع يا أسلم .. أرى أن تبعث أحد رجالك الأمناء الى الشام ، فيتصل هناك بعملاء حسان بن عدّي ، ويعود الينا بما من شأنه الكشف عن واقع العلاقات التي كانت بين حسّان وعلقمة بن زيد .

° ° °

من رجال أسلم الأمناء كان حمّاد ، واليه عهد بالمهمّة التي أمر الخليفة بانجازها ، وفيما الرجل الأمين يتهيأ للرحيل الى الشام ، قالت له امرأته :

– الى أين يا حماد ؟

قال حماد ضاحكا :

– الى الشام ، يا سلاّمة .

قالت مستغربة :

– الى الشام ؟

قال وقد أغمض عينيه ، كمن يريد أن لا يرى بهما غير ما مرّ من عمره :

– بلاد الذكريات ..

قالت ممتعضة :

– بلاد الذكريات .. ولإحياء ذكرياتك فيها تعود اليها ؟

قال : أليس للمرء أن يحنّ الى ماضيه ! .. لقد كنت فيما مضى رفيق المسافرين والتجار الى تلك البلاد الكثيرة الخير والجمال .

– وأنت اليوم غيرك بالأمس .

– صحيح هذا ولكن ..

– ولكن ماذا ؟

– هذا لا يمنع أن أحنّ الى ذلك الأمس ، والى ذكرياتي فيه ..

قالت بعصبية :

– لك أن تحنّ ، ولكن .. ليس لك أن تتناسى واقعك الى الحد الذي يجعلك تتجاهل وجودي ، وتنفرد بحنينك الى ماضيك بالرأي .

– ولكن للحنين ، يا سلاّمة ..

واستغرق في الضحك .

وزادها ضحكه عصبية ، فقالت :

– للحنين ماذا ؟

قال وكأن لا شأن له بعصبيتها :

– للحنين أحكام تفرض الانفراد أحيانا بالرأي .

وتحوّلت عصبيتها ثورة ، فصاحت :

– لن تمضي الى الشام .

قال هادىء الأعصاب باردا :

– بل أمضي .

– أشكوك الى الخليفة .

– لن تفعلي .

– بل أفعل ، وعلى الفور .

قال ضاحكا :

– واذا كنت بأمر الخليفة أمضي ؟

– بأمر الخليفة ...

قالتها سلامة دهشة .. الأمر اذن غير ما قال ، و « الحنين الى الذكريات » لم يكن الا مداعبة ، فتابعت ، وقد سرّى عنها :

– لغير ما قلت اذن تمضي . له ؟

قال : لآتيك بالهدايا الجميلة .

وقوله انه بأمر الخليفة يمضي كان كافيا لافهامها أن السؤال عن المهمة التي يمضي بها في غير محله فسكتت كيلا ترى غير الهدايا الجميلة التي قال انه سيأتيها بها نصب عينيها .

° ° °

بين الحجاز وأرض الشام صحراء ، والصحراء بحر رمال . وفي بحر الرمال هذا تسير قوافل ، منها الرائحة ومنها الغادية ، وبرفقة احداها كان رجل أسلم يسير على ناقته حاديا :

جدّي رباب السير في ضوء القمر
واستقبلي في المهمة القفر السحر
لا خوف من جنّ عليك أو بشر
ولا على راكبك أي خطر
وفي الحمى ساهرة عين البرّ ...

° ° °

– حمّاد ؟

– عمّي ، أبا فهد .

وأبو فهد من أعراب البادية ، في منتصف الطريق بين الحجاز والشام مقرّه ، وما من مسافر الى أحد البلدين عبر الصحراء الا عرفه .

ومذ كان حماد رفيق المسافرين ، كانت صلاته بابي فهد صلات الولد بالوالد ، وبعد التحاقه بخدمة الخليفة ، حالت الأيام دون اجتماعه به .

وفوجيء أبو فهد برؤية صديقه القديم ، وعانقه مردّدا :

– يا هلا ، يا هلا .. اجلس وخبّرني ، أفي خدمة الخليفة أنت الآن ؟

قال حماد :

– نعم .. ولكن من أنبأك بهذا ؟

– ما مرّ أحد من صحبك القدامى الا سألته



عنك ، وأنت لا تسأل عني .. لا تسأل عن عمك أبي فهد ، ولا تذكر الأوقات التي كنت تقضيها عند باب هذه الخيمة معه .
— بل أذكر ، يا عمّي .. أذكر تلك الأوقات الحلوة ، وعنك أسأل كل واحد من صحبي ، وأسعد ليالي عمري الليلة التي سأقضيها بعد طول الفراق عندك .
— يا هلا ، يا هلا بك .. ومرتاح أنت الى خدمة أمير المؤمنين ؟
— الارتياح كله .
— الحمدلله .. على خطى رسول الله يسير هذا الخليفة في الدنيا ، والى الآخرة ينظر بعين لا يطرفها عن رؤية الحق شيء من متاع دنياه .
— وفقنا الله واياه الى الخير .
— والى الشام أنت قاصد ؟
— الى الشام .. ولي حاجة قد يكون في وسعك عوني على قضائها .
— وما حاجتك ؟
— كان في جملة المتاجرين مع الشام رجل يدعى علقمة بن زيد .
فرفع الاعرابي رأسه ، وقال :
— علقمة بن زيد ..
— تعرفه ؟
— كان أحد أكرم الرجال الذين عرفتهم ، وغير مرة جالسته حيث أجالسك هنا ، وكم كان حزني شديدا حين أتاني نعيه .
قال حمّاد مهتما :
— وتعرف سيّده حسّان بن عدي ؟
قال الاعرابي :
— تريد أن تقول شريكه حسّان بن عدي .
— وهل كان حسان شريكه ؟
— شريكه ، أجل .. الا أن الفارق بين الشريكين كبير .
— كيف ؟
— كان علقمة رجلا طيبا ، وعلى العكس حسان .. وقد سمعت شيئا اذا صحّ كان منتهى الغدر .
— وما سمعت ؟
— سمعت أن حسانا أنكر أن يكون علقمة ترك مالا ، وأن أرملة علقمة وابنتها تعيشان في حالة حرمان وفقر ، وأعجب كيف أن أمرا كهذا يجري في عهد ابن الخطاب .
— ما كان الخليفة على علم بهذا الأمر .
— ولم تقم أرملة علقمة دعوى ؟
— اقامة الدعوى تحتاج الى دليل .
— الدليل بيّن : تاجران شريكان يموت أحدهما خالي الوفاض ، ويبقى الآخر متخما بأسباب النعمة .. أيّ عقل يقبل هذا ؟
— ليست هذه القضية . القضية هي أن حسّانا يزعم أن علقمة لم يكن شريكه ، بل أجيره .
— زور وبهتان .
قال الاعرابي منتفضا ، فقال حماد :
وكيف نثبت ذلك ؟
قال الاعرابي :
— أنا أشهد .. أما يقبل الخليفة شهادتي ؟
— وما شهادتك ؟
— غير مرة نزل حسّان عندي ، وغير مرّة قال لي ان علقمة شريكه .. أقول هذا في وجهه ، وليجرؤ على القول لا .
قال حماد مرتاحا :
— اذن أمضي الى الشام وأعود ، ونمضي معا الى المدينة .. سيتدخّل الخليفة ، ويأخذ العدل مجراه .

• • •

لم يصعب على حماد الاهتداء الى عملاء حسان في دمشق .. وسأل أحدهم عن علقمة ، واذ أجابه هذا بأنه مات ، تظاهر حماد بالبغتة والأسى الشديد ، وقال :
— مات ..
قال العميل : من عام وبعض العام ، وكان موته هنا فجأة ، فما علاقتك به ؟
قال حمّاد : علاقة تجارية ، ولي في ذمته دين ، ولذا جئت أسأل عنه ، فمن يمكنني أن أطالب بديني ؟
— أتجاريّ دينك ؟
— تجاريّ .
— تطالب اذن شريكه .
— ومن شريكه ؟
— حسّان بن عديّ .
— حسّان بن عديّ ، أعرفه ، أواثق أنت بأنه كان شريكا له ؟
— الثقة كلّها ، ولدي رسائل يخوّله بها عقد الصفقات معي ومع سواي .
— هذه الرسائل .. أيمكنني الاطلاع عليها ؟
— اذا شئت .
قال هذا وأخرج من صندوق قريب منه ، مجموعة رسائل ناوله اياها ، وقال له :
— اقرأها على مهلك ، بينما أنا أنصرف الى عملي ، فترى أن الواقع ما قلت لك .

• • •

— قال أسلم للخليفة :
— لقد عاد رسولي من الشام ، يا أمير المؤمنين .
قال الخليفة مهتما :
— وبم عاد ؟
— بما يؤكد قول المرأة ان زوجها كان شريكا لحسّان ، لا أجيرا عنده .
قال الخليفة غضبا :
— ألا ويح حسّان .. يكذب ليظلم ، ولا يخاف الله ؟
— هات ما حمل اليك رسولك .
— هذه الرسالة أولا .
قال أسلم هذا ، وأخرج من كمّه رسالة ناولها الى الخليفة ، متابعا :
— انها من مجموعة رسائل لحسّان ، وبها يعتمد شريكه علقمة بن زيد لدى عملائه ، ويخوله عقد الصفقات مع هؤلاء العملاء بنصّ صريح .
ونظر الخليفة في الرسالة ، وقال :
— النّص صريح أجل ، ويكفي لادانة ابن عديّ .
قال أسلم :
— وان لم يَكْفِ ، فهناك شاهد .
— شاهد ؟
— اعرابيّ كريم عرف حسّانا وعلقمة ، والعلاقات التي كانت بين الاثنين ، وجاء صحبة رسولي لاداء الشهادة .
— لقد وفّق اذن رسولك .
وعاد الخليفة الى الرسالة ، قال :
— وهذه الرسالة كيف حصل عليها ؟
قال أسلم :
— بحيلة بسيطة .. أوهم أحد عملاء حسان بأن له دينا تجاريا على عاقمة ، ولا يعرف من

يطالب به ، فأشار عليه العميل بمطالبة شريكه ابن عديّ ، وأطلعه على رسائل تثبت شراكة الرجلين ، واذن له باستعارة هذه الرسالة منه لاثبات حقه .

أطرق الخليفة يفكّر .. ورفع أخيرا رأسه ، وقال لأسلم :

– قبل أن ندعو حسّانا لمقاضاته ، أودّ أن أتثبت من كونه لا يزال مصرا على انكاره الحق ، واليك أكل التحقيق العاجل في الأمر .

° ° °

فوجىء حسّان بدخول أسلم عليه ، وكان منصرفا الى أعماله اليومية ، ولم يتمالك من الاضطراب ، اذ بادره بقوله :

– أتذكر يا حسّان من كان يدعى علقمة بن زيد ؟

علقمة بن زيد .. ما يريد صاحب الشرطة بالسؤال عن رجل مات ، وليس في الدنيا من يهمّه أمره ، الا أن تكون امرأته عادت الى المطالبة بماله ، على اعتبار أنه كان شريكه ؟

لقد أنكر هو هذه الشراكة ، وطلب منها اثباتها .

أتكون قد وجدت الشاهد أو الدليل على صحّتها ، وأقامت الدعوى ؟

وكان عليه أن يتمالك ، قال :

– علقمة بن زيد ، أذكره .

قال أسلم : وما كانت علاقتك به ؟

قال : كان الرجل هذا أجيري .

– أجيرك ، أم شريكك ؟

– أجيري .

– ولكن امرأته تدّعي عليك .

– بم تدّعي ؟

– بأنه كان شريكك في تجارتك ، وقد ترك مالا تنكره عليها ، وعلى ابنتها اليتيمة .

– ليست المرأة صادقة بدعواها .

– وصادق أنت بقولك .. ومقتنع بأن هذا القول كاف لاقناع العدالة ؟

قال حسّان مكابرا :

– العدالة يقنعها الدليل .. لتبرز امرأة علقمة دليلا واحدا على صحة ما تدّعي ، وأنا أول من يخضع للحق .

قال أسلم :

– فكّر في الأمر ، يا حسّان .

– فكّرت ، يا أسلم .

– ان أمير المؤمنين لا يهاود في كلّ ما له علاقة بحقّ الأرملة واليتيم .

– ولا يرضى أمير المؤمنين كذلك أن يتّهم الكرام بما هم براء منه .

– لأمير المؤمنين اذن أن ينظر في الأمر .

° ° °

عظيما كان الخليفة عمر بن الخطاب ... وعظمته كانت باحقاقه الحقّ ، غير متأثر ، الا بما أوصى الله ورسوله أولي الأمر باجراء العدالة ، دونما تمييز بين الواحد والآخر من الناس .

قال لجميلة الماثلة وحسّانا أمامه :

– اذن فأنت تصرين على القول ان زوجك كان شريكا لحسّان لا أجيرا عنده ؟

قالت : أجل ، يا أمير المؤمنين .

قال لحسّان :

– وأنت .. أتصرّ على انكارك الشركة ، وعلى القول ان علقمة بن زيد لم يكن غير أجير عندك :

قال حسّان :

– ليس هناك ما يثبت شراكته لي .

قال الخليفة :

– كنّا نودّ لو حكّمت الله في الأمر ، يا حسان .. وما دمت لم تفعل ، وتأبى الا الدليل الحيّ على تجنّيك ، فنحن على استعداد لنقدّم لك الدليل الذي تطلب .

وقال لأسلم :

– الي بالاعرابي .

وكان الاعرابي أبو فهد في الباب ، فدخل ..

واصفرّ وجه حسّان لدى رؤيته ، اذ أيقن لأول وهلة أن الرجل انما أتي به للشهادة عليه ، فمن الذي قوّى يد أرملة علقمة الى هذا الحد ؟

وسلم الأعرابي على الخليفة ،

وردّ الخليفة السلام .. ثم التفت الى حسّان ، وكان هذا قد امتقع لونه ، وقال له :

– أتعرف هذا الرجل ؟

وأشار الى الاعرابيّ .. وتردّد حسّان في الجواب ، فقال الاعرابي بالجرأة التي عرف بها أمثاله :

– ان كان قد نسيني ، فأنا أذكّره ... انه حسّان بن عديّ ، وغير مرّة نزل ضيفا عليّ ، وهو في الطريق الى الشام .

قال الخليفة للاعرابي :

– وتعرف من كان يدعى علقمة بن زيد ؟

– حق المعرفة ، يا أمير المؤمنين .

– وما كانت علاقته بحسّان هذا ؟

– علاقة الشريك بالشريك .

– شريكه كان اذن ..

– أي ، والله .

وحاول حسّان الاعتراض ، قال :

– ولكن ، يا أمير المؤمنين ..

فقاطعه الخليفة قائلا :

– لا تعترض ، يا هذا .. واذا كان الاعرابي غير صادق ، فما قولك بهذه الرسالة ؟ ومدّ يده بالرسالة التي جاء بها حمّاد ، فتناولها أسلم منه ، وناولها بدوره الى حسّان .. فأخذها هذا بيد مرتعشة ، وألقى عليها نظرة طائشة ، وحاول الكلام متخاذلا ، قال :

– هذه الرسالة ..

قال الخليفة :

– اقرأها .. أما هي منك ؟

قال حسّان معترفا :

– بلى ..

قال الخليفة متابعا :

– وبها تعتمد علقمة بن زيد لدى عملائك ؟

قال حسان متلاشيا :

– بلى ...

قال الخليفة :

– أشريكا تعتمده ، أم أجيرا ؟

فخرّ حسّان قائلا :

– عفو أمير المؤمنين .

قال الخليفة :

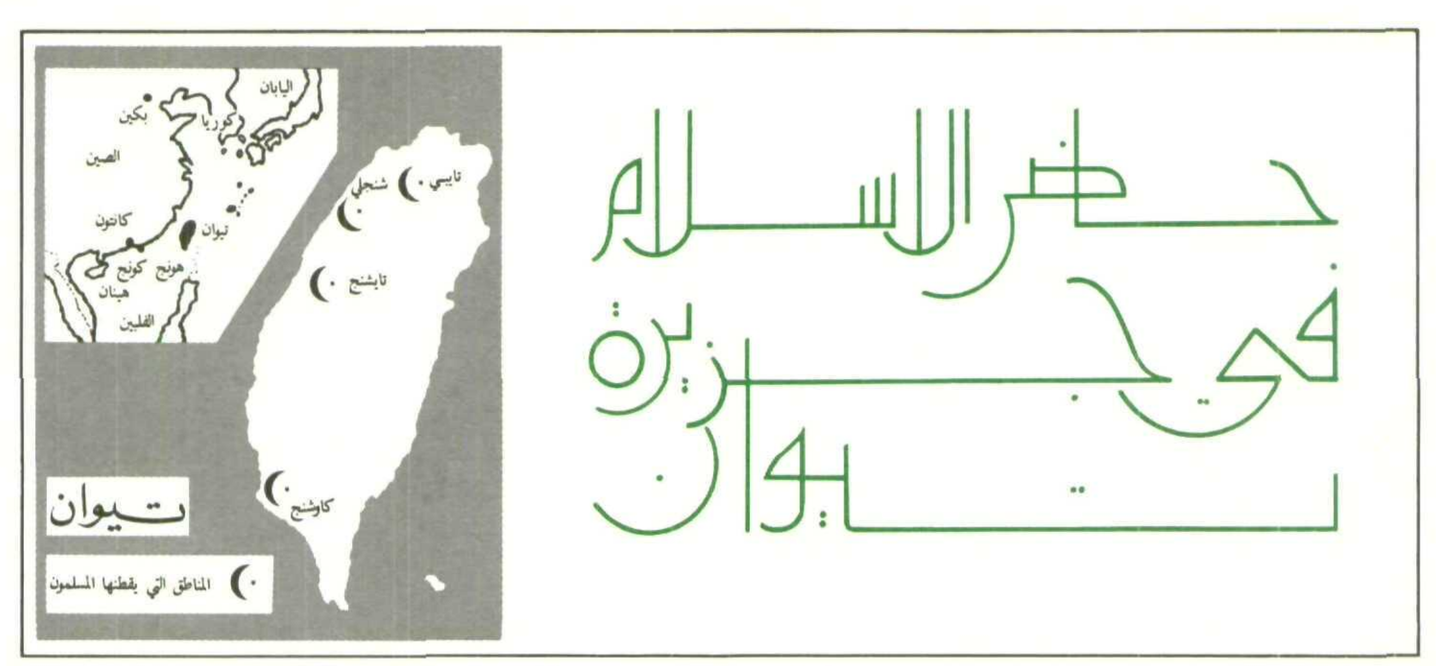
– عفو الله فاطلب .. وكي يعفو الله عنك ، تؤدي لهذه المرأة حقّها .

قال حسّان :

– لها كلّ ما تفرض عليّ العدالة .

قال الخليفة :

– وللعدالة كل ما يفرض عليك عمر .. عساك لا تحاول بعد انكار الحق ، طمعا بما لك من قدرة على تضليل العدالة ■



حاضر الإسلام في جزيرة تايوان

ظهر الإسلام في أمّة، كانت قبل ظهوره تغوص في بحرٍ من الفرقة والتبدُّد، وتتخبَّط في مهاوي الشرك والفساد.. فجاء الإسلامُ برسالته السمحاء ليُصلح هذه الأمة ويُنقذها من براثن الشرك .. تأمُرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الوحدانية بالله والإخلاص له ..

من المهمات التي يقوم بها هذا «الاهونج» تعليم الأطفال اللغة العربية .



جلالة الفيصل المعظم يطلع على احدى مخطوطات التاريخ الاسلامي في مسجد « تايبي » .

من أرض الجزيرة العربية انطلق نور الاسلام مشرقا هاديا فغمر الوهاد ، وعمر القلوب ، وساد الأمن بعد خوف ، والاستقرار بعد اضطراب ، وشاع العدل والسلام ، وعمّت الطمأنينة والوئام .. لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى .. ولم يمض قرنان على بزوغ شمس الاسلام حتى غمر نوره معظم أرجاء المعمورة .. وكانت الصين من بين هذه البقاع المترامية الأطراف التي أشرقت عليها شمس الاسلام .

بيد أن دخول الاسلام الى أرض الصين وكيفية وصول المسلمين اليها أمر تناقضت حوله الآراء واختلفت في تحديده الروايات ، فضلا عن ضآلة المعلومات وشحها .

لكن المصادر التاريخية تشير الى أن الاسلام قديم الهجرة في بلاد الصين . ويذكر الصينيون ان أول ظهور للاسلام بين ظهرانيهم يرجع الى عهد السلطان « تايتسونغ » في القرن السابع الميلادي .. على أن أول من دخل ديار الصين ، حسب ما جاء في كتاب « حاضر العالم الاسلامي » للمؤرخ الأمريكي «لوثروب ستودارد - Lothrop Stoddard » رجل من عصبة النبي صلى الله عليه وسلم يدعى « ابن حمزة » ، وقد دخلها مع ثلاثة آلاف مهاجر نزلوا في اقليم « سنغان فو » .. وعلى أثرهم جاءت أفواج أخرى من المسلمين عن طريق البحر ، وأقاموا بجهات « ينان » .

ويقدر عدد المسلمين في الصين اليوم ، بحوالي ٦٠ مليون نسمة ، ويذكر الدكتور « لوثروب ستودارد » في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، ان أول صقع عرفه المسلمون من بلاد الصين هو « كاشغر » وذلك في عام ٩٦ للهجرة ، اذ غزاها « قتيبة بن مسلم الباهلي » في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ..

وبالرغم من تباين الآراء حول دخول المسلمين الى الصين وكيفية وصولهم اليها ، فان معظم كتب التاريخ تجمع على أن دخول الاسلام لتلك الديار كان في عام ٦٥١ الميلادي ، حينما أرسل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، أول وفد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية في عهد حكم أسرة « تانج » .. وتلا ذلك تعاقب الوفود الاسلامية الى الصين في عهد الخلفاء الراشدين بقصد نشر الدعوة الاسلامية عن طريق الاتجار مع سكان الصين . ومن ثم أخذ الاسلام ينتشر في ربوع البلاد بسبب نشاط التجار المسلمين الوافدين اليها وزواجهم من الصينيات غير المسلمات ، وتأثر بعض السكان الأصليين بالمسلمين ، كما ان الفتوحات الاسلامية كان لها أثر فعال في انتشار الدعوة الاسلامية هناك كما هي الحال في اسلام سكان ولاية « سنكيانج » .

وفي عام ٧٥٦م أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور حوالي ٤٠٠٠ من المتطوعين لمساعدة امبراطور الصين على قمع التمرد الذي قام به التتاريون . وقد كافأهم الامبراطور على مساعدتهم وأعطاهم حق الاستيطان . وكان نتيجة لذلك أن أخذ المزيد من المسلمين العرب والفرس والأتراك يتوافدون على بلاد الصين ، لا سيما خلال غزوات المغول اليها في القرن الثالث عشر الميلادي .

وقد شجع الحكام المغول المسلمين ، وخاصة العلماء والتجار والصناع منهم ، على أن يتخذوا من الصين وطنا لهم . ويقال ان الفنون والعلوم الاسلامية ، وخاصة في الطب والرياضيات والفلك والشؤون العسكرية ازدهرت في الصين في عهد المغول في شكل ملحوظ . ففي بادىء الأمر اعتبر المسلمون في المجتمع الصيني عنصرا أجنبيا من حيث الزي واللغة والعادات والتقاليد الدينية . وكانوا في كثير من الأماكن يسكنون في أحياء منعزلة تعرف بالصينية باسم « Ying » وهي تكاد تشبه الثكنات العسكرية في نمطها مما يدل على ميولهم ونشأتهم العسكرية آنذاك . ومن ناحية أخرى فقد تزاوجوا من فتيات صينيات وتبنى خلفهم الأسماء والعادات الصينية . وعلى مر الأجيال انصهر المسلمون في بوتقة المجتمع الصيني الى درجة يصعب عندها تمييزهم من السكان الأصليين . وبالرغم من كل ذلك فقد ظلوا محافظين على تراثهم ونزعاتهم الدينية . فمثلا ، تجنبوا أكل لحم الخنزير وظلوا يحيون بعضهم البعض بالطريقة العربية ، ويلبسون العمائم ، ويدفنون موتاهم في مدافن خاصة بالمسلمين . وحتى في زواجهم يتبعون العادات والشرائع الاسلامية ، وكذلك يصلون في المساجد وراء أئمة من خريجي المعاهد الدينية الخاصة بهم . وينتمي معظمهم الى المذهب الحنفي . لكن هذه التقاليد أصطبغت الى حد بعيد بالطابع الصيني .

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين حدث شقاق بين الجماعة المؤيدة للتقاليد الصينية والجماعة المؤيدة للتقاليد الشرقية والتي تدعو الى انشاء مجتمع اسلامي ضمن الدولة الصينية . واستمر الشقاق حتى القرن التاسع عشر ، وكان بذلك العامل الرئيسي لانهيار ثورة المسلمين ضد المنشوريين في المقاطعات الغربية والشمالية ، . غير ان ثورة عام ١٩١١ بقيادة الدكتور « صن يات صن » حررت المسلمين من قيود المنشوريين ، واعترفت بهم كأحد الأجناس الخمسة التي تكوّن شعب الصين .

وفي أعقاب الثورات المتعددة وتوالي أنظمة الحكم المختلفة تضعضع كيان المسلمين في الصين ، وفر الكثير منهم الى خارج البلاد ، وخاصة الى جزيرة « تيوان » أو فورموزا التي تقع على بعد ١١٠ أميال شرقي الوطن الأم . وقد تعرضت هذه الجزيرة مرتين للغزو لدى سقوط الحكم في الوطن الأم . كانت المرة الأولى

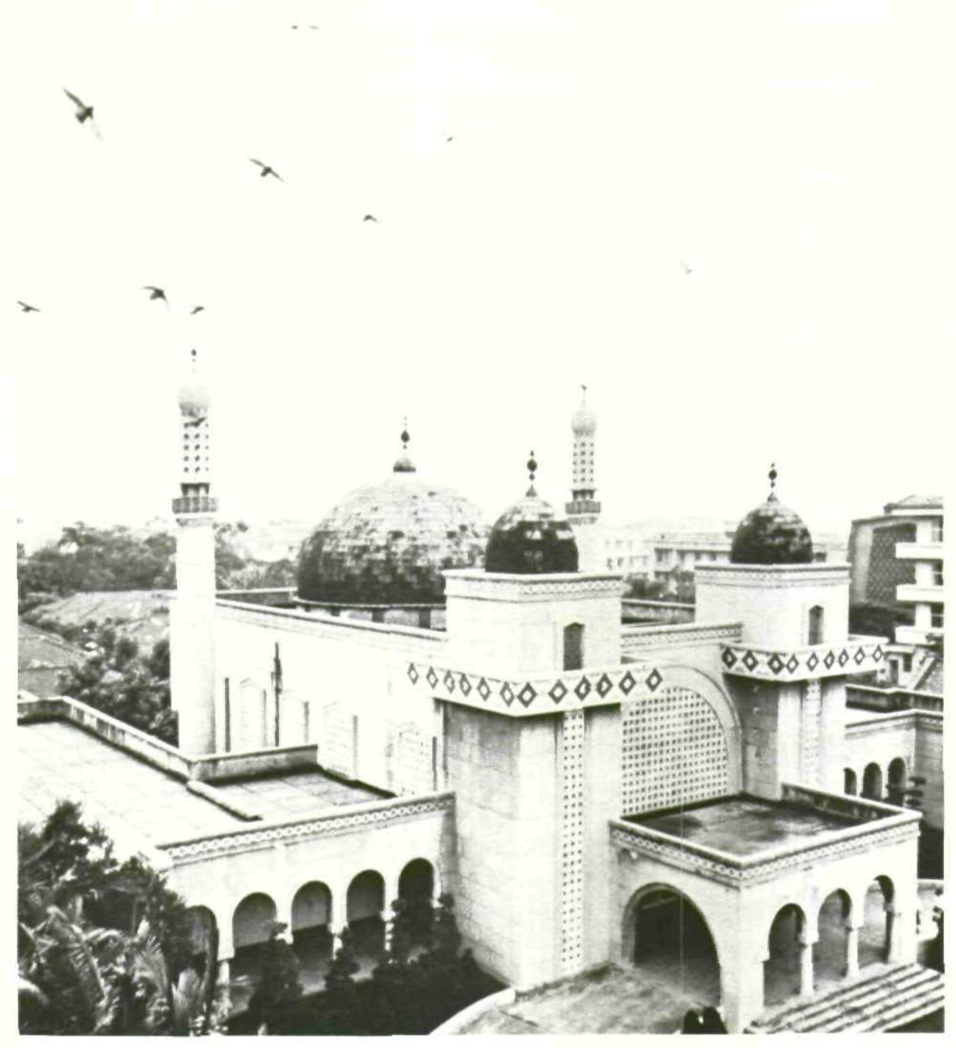
ع. قباني

مسلم صيني يؤدي الصلاة في أحد مساجد « تيوان » .

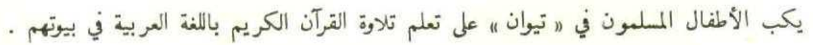
في عام ١٦٦١م بعد سقوط حكم أسرة « منج » ، حيث قام « كوكسينجا – شنج شنج كونج » على رأس ٢٥٠٠٠ رجل من أتباعه بغزوها من ساحل الصين الجنوبي والاستيلاء عليها من الهولنديين . أما المرة الثانية فكانت في عام ١٩٤٩ عندما لجأ اليها الرئيس « شانك كاي شك » مع أكثر من مليون من أتباعه أثر الهزيمة التي مني بها من قبل الشيوعيين .

ففي كلتا المرتين كان من بين الفارين الى « تيوان » عدد من المسلمين ، غير انه لم يعرف بالضبط كم كان عددهم من بين الذين فروا اليها مع « كوكسينجا » . ويذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا عائلات قليلة زحف أفرادها من مقاطعة « فوكين » ، وكانوا أول مجموعة من المسلمين يقطنون الجزيرة . وعلى مر السنين أخذ أحفاد الجالية الاسلامية هناك ينخرطون في المجتمع التيواني ويكتسبون عاداته وتقاليده ، مما حملهم بالتالي الى اعتناق البوذية والطاوية والكنفوشوسية . وبحكم عدم استطاعتهم الاتصال بالمسلمين في الوطن الأم ، فقد أخذت عقيدتهم الاسلامية تتداعى وتضعف تدريجيا .

وخلال سيطرة اليابانيين على جزيرة تيوان ابّان الفترة الممتدة من ١٨٩٥ الى ١٩٤٥ ، منع جميع سكان « تيوان » من تأدية شعائر أي عقيدة أخرى غير البوذية ، مع العلم انه كان هناك في الفترة ذاتها بعض المسلمين يؤدون شعائرهم كأفراد وليسوا كجماعات . وقد ذكر البروفسور « لين ياتنج » الذي كتب « تاريخ تيوان » في عام ١٩١٨ ، ان انتشار الاسلام في الجزيرة لم يكن له أثر ، والمدينون بالاسلام قليلون ومعظمهم من مناطق أخرى . كما انه لم يكن هناك مسجد في ذلك الوقت . غير انه بالرغم من ذلك ظل أتباع « كوكسينجا » يحافظون على التقاليد الاسلامية حتى يومنا هذا . فأسرة « كيو » التي تسكن « لوكانج » ، مثلا ، تحرم أكل لحم الخنزير في المناسبات الدينية ، مع ان هذه العائلة ليست مسلمة ، وفي كيلونج توجد أسرتان لا يزال أفرادهما يضعون نسخا من القرآن الكريم بجانب مخطوطات أسلافهم . وهؤلاء الأفراد ليسوا مسلمين ولا يستطيعون قراءة اللغة العربية ، لكنهم يفتخرون باحترامهم لكتاب مقدس لدى أسلافهم . وفي « تاينان » توجد ثلاث أسر تراعي في دفن موتاها التقاليد الاسلامية ، مثل غسل الميت وتكفينه بقماش أبيض ، مع العلم بأنها في الوقت نفسه ، كانت تتبع التقاليد التيوانية في الأمور الدينية الأخرى .



هكذا تبدو بيوت الله في تيوان آية من الروعة والجمال تدخل الى قلوب مشاهديها البهجة والسرور .



يكب الأطفال المسلمون في « تيوان » على تعلم تلاوة القرآن الكريم باللغة العربية في بيوتهم .

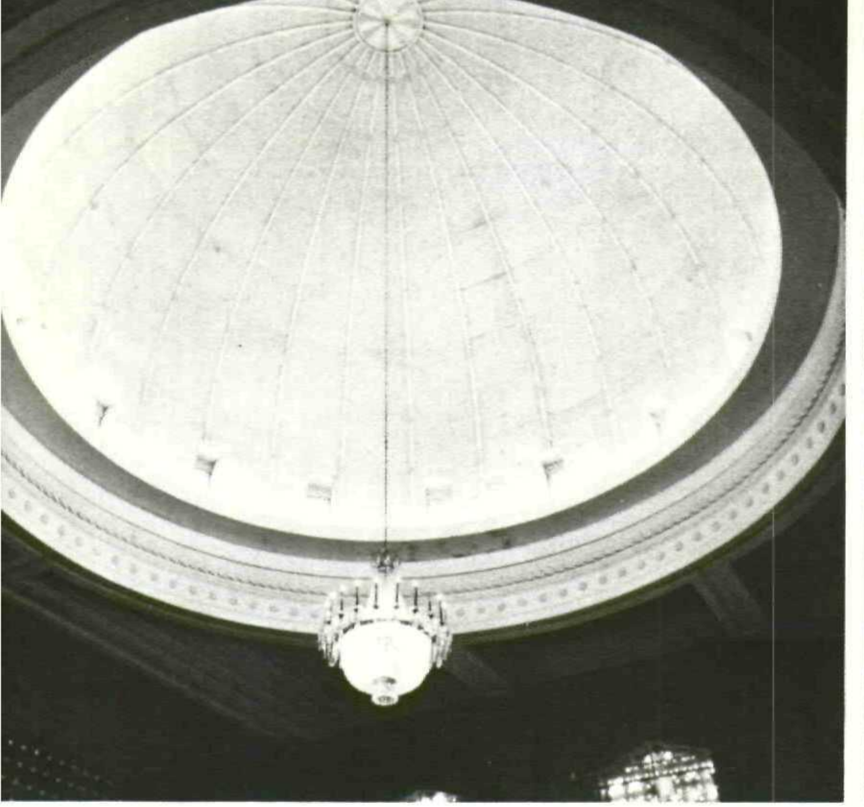


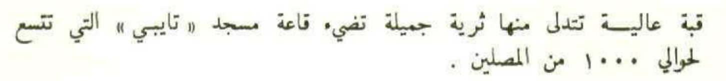
جلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز لدى وصوله الى مطار « تايبي » ابان زيارته التاريخية الى الصين الوطنية .. وكان على رأس مستقبلي جلالته فخامة رئيس الجمهورية شانك كاي شيك المشار اليه بالسهم .

جلالة الفيصل المعظم في صورة تاريخية مع جماعة من المسلمين الصينيين ، أخذت أمام مبنى مسجد « تايبي » في تيوان .



الحاج « دنج هان » يقرأ الدعاء بعد أداء الصلاة في بيته ، ولديه أبنـاء يدرسون أصول الدين في بعض الدول الاسلامية .





قبة عاليـة تتدلى منها ثرية جميلة تضيء قاعة مسجد « تايبي » التي تتسع لحوالي ١٠٠٠ من المصلين .

هذا كل ما تبقى من آثار اسلامية في جزيرة « تيوان » منذ عهد « كوكسينجا » ، اذ ان عدد المسلمين اليوم الذين هم من أتباعه لا يتجاوز مائتي شخص من بين ١٠ ملايين مواطن . ومعظمهم اعتنق الاسلام مؤخرا بسبب زواجهم من مسلمي الوطن الأم .

وقد قدر عدد المسلمين مع الذين فروا من الوطن الأم عام ١٩٤٩ بحوالي ٢٠٠٠٠ شخص . وكان عدد المسلمين في أنحاء الصين في ذلك الوقت يبلغ عشرين مليون شخص ، معظمهم يقطن في المناطق الغربية والشمالية التي تضم مدن « ينان » ، و « سنكيانج » ، و « ننغشيا » ، و « كانسو » ، وكان الاسلام منتشرا فيها انتشارا واسعا . والمسلمون الذين قدموا الى « تيوان » من الوطن الأم ، كبقية المواطنين الآخرين ، يشغلون مراكز مختلفة في الجيش والدولة ، بالاضافة الى عدد كبير منهم يعمل في حقلي التعليم والتجارة .

هـذا ويشغل عدد من القادة المسلمين مناصب بارزة في المجلس التشريعي والجمعية الوطنية . كمـا أن كثيرين منهم يحملون رتبا عالية في القوات المسلحة لجمهورية الصين الوطنية ومن بينهم الجنرال « ماشنج شيانج » الذي كان نائبا للقائد العام للقوات المسلحة ، وهو الآن يشغل منصب أحد المستشارين الكبار للرئيس « شانك كاي شك » . والى جانب ذلك يشغل المسلمون مناصب متعددة في السلك الدبلوماسي ، ومن بينهم سفير فرموزا لدى دولة الكويت السيد « وانج شاي منج » .

والمسلمون في « تيوان » ، كما كانوا في الوطن الأم ، يشدهم تنافس شديد فيما بينهم ويبرز هذا التنافس أكثر ما يبرز بين أعضاء « الجمعية الاسلامية الصينية » وأعضاء « منظمة الشباب المسلم الصيني » اللتين أسستا هناك . ويعتبر جميع مسلمي الصين في جزيرة « تيوان » أعضاء في الجمعية الاسلامية التي يرأسها بالوكالة الرئيس « أبو بكر شاو منج يون » . وقد تأسست هذه الجمعية في الوطن الأم عام ١٩٣٧ وانتقلت الى جزيرة تيوان عام ١٩٤٩ . وهي اليوم تعدّ المنظمة الوحيدة المعترف بها رسميا من قبل الحكومة كممثلة للمسلمين هناك ، ولديها فروع في مختلف أنحاء البلاد . وتشغل فئة كبيرة من زعمائها مناصب مرموقة في الدوائر الحكومية .

وتقوم هذه الجمعية بنشاطات عديدة ذات أوجه مختلفة ، كان أبرزها ترجمة القرآن الكريم الى اللغة الصينية . وهي تصدر مجلة شهرية تعنى بالشؤون الاسلامية . وتعد برنامجا اذاعيا كل أسبوع توجهه الى المسلمين في الوطن الأم ، كما تعد برامج ثقافية للشباب المسلم وتحرر نشرات تثقيفية توزع على المسلمين في القوات المسلحة . وعن طريق مكتب شؤون عبر البحار التابع لها يتم الاتصال بالمسلمين والجمعيات الاسلامية في البلدان الأخرى . ويقوم هذا المكتب أيضا باستقبال المسلمين القادمين الى « تيوان » وتوفير كافة التسهيلات لهم ، كما يقوم في كل عام باختيار الطلبة للدراسة في المعاهد الاسلامية في الخارج ، وتسهيل معاملات الراغبين منهم في التوجه الى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج ومساعدة الطلبة المسلمين في « تيوان » وارسال بعثات للصداقة الى الدول الاسلامية .

وتقع المقر الرئيسي للجمعية الاسلامية الصينية في مسجد « تايبي » الذي قامت ببنائه عام ١٩٦٠ . وقد حصلت على تكاليف بنائه عن طريق التبرعات من أصدقائها في الداخل والخارج . وكان من بين المتبرعين بعض ملوك الدول الاسلامية ، كما لقيت الجمعية تشجيعا من حكومة الصين الوطنية التي أعطتها قرضا لاكمال بناء المسجد الفخم بناء يليق بمكانته الدينية . وتنافس هذه الجمعية في نشاطاتها « منظمة الشباب المسلم » الصيني التي يقع مقرها في المسجد الثقافي بـ « تايبي » أيضا . ويرأس هذه المنظمة الحاج « اسحاق شايو تونج تاي » الذي يعمل في الوقت نفسه اماما للمسجد المذكور ، وهو من مؤسسي هذه المنظمة الاسلامية في مدينة « موكدن » بمنشوريا في أوائل الثلاثينات من القرن الحالي . وكانت تسمى في ذلك الوقت « جمعية الشباب المسلم الصيني لتحسين الثقافة » ، وكان هدفها توحيد الشباب المسلم وجمع كلمتهم. وخلال الحرب الأهلية التي نشبت بين المواطنين والشيوعيين في أواخر الأربعينات من القرن الحالي ، هاجر الحاج اسحاق وكثير من زملائه أعضاء الجمعية الى مقاطعة « كوانجتون » . وفي يوليو ١٩٤٩ ، انتقلوا الى « كنتون » وأعادوا تنظيم أنفسهم في جمعية أطلقوا عليها « منظمة الشباب المسلم الصيني لبناء الوطن ومكافحة الشيوعية » . وبعد عام انتقلت هذه المنظمة الى مقاطعة « تيوان » ، وكان أعضاؤها بما فيهم الحاج اسحاق يقومون بنشاطات بارزة ترمي الى تعزيز الروابط بين منظمتهم هذه والمنظمات الاسلامية الأخرى . غير أنهم في عام ١٩٥١ تخلوا عن معظم نشاطهم ليتفرغوا الى الأعمال الدينية الرامية الى التحرر والاصلاح ، فأصبحت المنظمة منذ عام ١٩٥٧ تسمى « منظمة الشباب المسلم الصيني » وفي منتصف عام ١٩٦٩ ، بلغ عدد المنتسبين اليها رسميا ٥٦٠ عضوا ، كان من بينهم ٥٥ من التيوانيين الذين اعتنقوا الاسلام مؤخرا . ويسكن معظم هؤلاء الأعضاء مدينة « تايبي » وينتشر بعضهم في مختلف أنحاء « تيوان » . وتعتبر المنظمة ، حسب قول الحاج اسحاق ، امتدادا لجماعة « الفرقة الجديدة » التي انبثقت في الوطن الأم ، والتي تدعو الى التحرر والاصلاح. وهي في الوقت نفسه أكثر تكيفا مع الأوضاع الصينية وأكثر قابلية للتطور من جمعية مسلمي الصين ، لكنها تختلف عن هذه الأخيرة اختلافا بسيطا في تأدية شعائرها الدينية بمسجد تايبي .

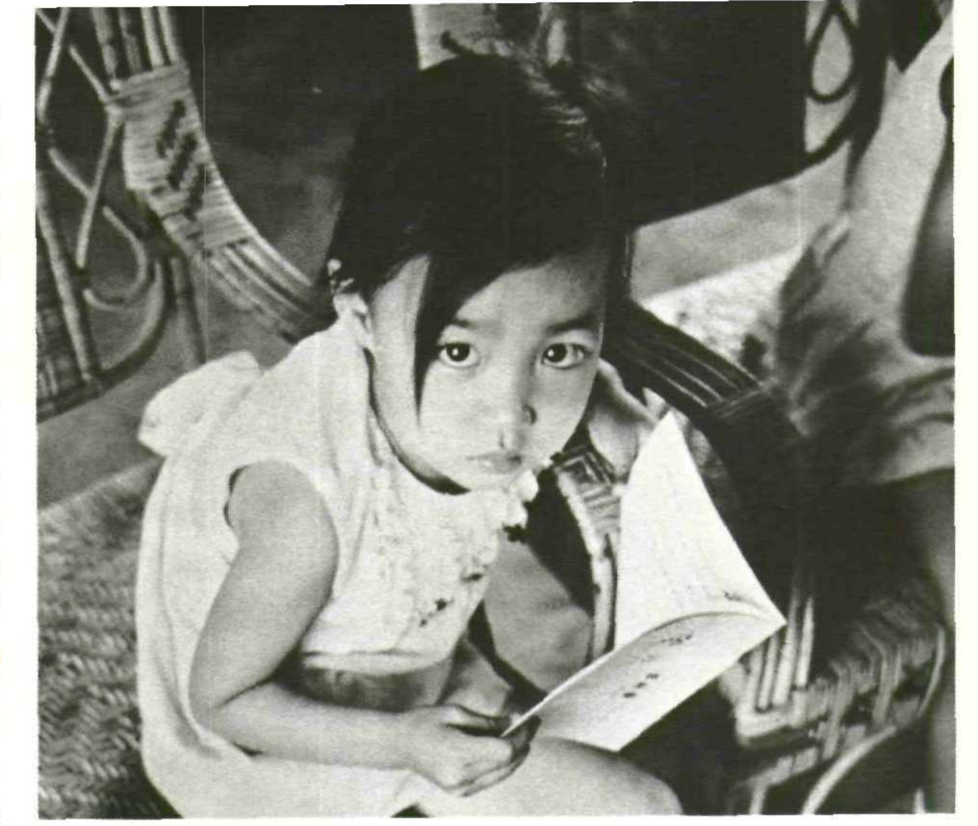


أحد علماء المسلمين في « تايبي » يعكف على ترجمة للقرآن الكريم من اللغة العربية الى اللغة الصينية .

فالدعاء ، مثلا يتلى باللغة الصينية ، ويقتصر استعمال اللغة العربية على تلاوة آيات القرآن الكريم . وبصورة عامة ، فان هذه المنظمة تعنى عناية كبيرة باستمالة الشباب التقدمي وتعليمه ، وتركز على نشر تعاليم الشريعة الاسلامية بدلا من تعليم اللغة العربية والقيام بالاحتفالات الدينية .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، ان الاقبال على اعتناق الدين الاسلامي في « تيوان » يتزايد عاما أثر عام ، وخاصة عن طريق التزاوج مع المسلمين . ومن مهام الجمعيتين الدينيتين ، تزويد الجماعات والأفراد الذين يودون الاستفسار عن أمور تتعلق بالدين ، بمعلومات وافية وكافية . ويؤخذ من التقارير التي يعدها مسجد « تايبي » ان عدد الذين يعتنقون الاسلام عن طريقه يبلغ ١٠٠ شخص سنويا ، أما المسجد الثقافي فيبلغ عدد المعتنقين للاسلام عن طريقه نحو ٥٠ شخصا سنويا . ومع اعتناق هذا العدد للدين وازدياد عدد أفراد الأسر المسلمة في كل عام ، لم تتوفر احصاءات رسمية عن نسبة المسلمين بين السكان ، فعددهم يبقى ثابتا تقريبا بسبب التوازن بين المواليد والوفيات . أما جمعية مسلمي الصين فتذكر أن عدد المسلمين في جزيرة « تيوان » يبلغ ٤٠٠٠٠ نسمة ، وأن حوالي نصفهم من مواليد « تيوان » المنحدرين من مسلمي الوطن الأم الذين نزحوا مع « كوكسينجا ». وربما يبلغ عدد أحفاد المسلمين التيوانيين من أتباع كوكسينجا حوالي ٢٠٠٠٠ نسمة .

وتتم تأدية الفرائض الدينية في خمسة مساجد فقط من مساجد « تيوان » ، من بينها اثنان في « تايبي » وواحد في كل من « شونجلي » و « تايشونج » و « كاوسوانج » . ويعتبر مسجد « تايبي » أكبر مساجد تيوان من حيث البناء والهندسة ، فهو يتسم بطابع الفن المعماري العربي وله مأذنتان مزدانتان ، بينما تشبه المساجد الأخرى ، الواقعة في الوطن الأم ، المعابد في شكلها ، وتخلو من المآذن الشاهقة . وتتسع قاعة مسجد تيوان الوسطى ذات القبة الفخمة لحوالي ١٠٠٠ مصل ، وبه أيضا قاعة لالقاء المحاضرات الدينية والثقافية تتسع لحوالي ٤٠٠ شخص ، وأخرى للاستقبال بالاضافة الى مرافق الوضوء والمكاتب . وتتميز المساجد في تيوان عن غيرها بأنها مستقلة في تنظيم شؤونها ، فلكل مسجد مجلس ادارة خاص به يتولى أعضاؤه أمر



طفلة مسلمة ترتسم على وجهها البراءة ، وهي تبشر بأن تصبح من المؤمنات الصالحات .

الاشراف على الشؤون الدينية فيه ، كانتخاب امام « أهونج — Ahong »(١) لتولي الأمور الدينية العامة . ولكل من المسجدين في « تيابي » امام يشرف على رئاسته . فالمسجد الثقافي يرأسه الامام « حاج اسحاق » الذي أكمل تعليمه في « منشوريا » ، بينما مسجد « تايبي » يرأسه الامام « ماتسي شيانج » وهو مواطن سعودي من مواليد الصين . وقد أكمل تعليمه في مكة المكرمة والمدينة المنورة . وهو يعمل في الوقت نفسه أستاذا لتدريس اللغة العربية في جامعة « شنجشاي » في تايبي .

أما المساجد الثلاثة الأخرى فيرأسها « أهونجيون » يضطلعون بتدريس التعاليم الاسلامية وشرح الشريعة الاسلامية وحل الخلافات التي تنشأ بين رجال المساجد ، بالاضافة الى اشرافهم على حفلات الزواج ومراسيم الدفن والأم بالمصلين ، ويتم اختيار « الأهونجيين » عادة من المواطنين المسنين المتدينين والملمين بالأمور الدينية واللغة العربية . هذا ويوجد في بعض المدن الرئيسية من الوطن الأم مثل « بكين » و « موكدن » مساجد خاصة بالنساء ترأسها « اهونجيات » . ومثل هذه المساجد غير متيسر في « تيوان » . فالنساء في « تيوان » يصلين مع الرجال في مسجد واحد ويفصل بينهم أثناء اداء الصلاة ستار من القماش .. ويعنى المسلمون في جزيرة « تيوان » بتثقيف أبنائهم الثقافة الاسلامية ونشر الوعي الديني بينهم ، ومن أجل ذلك ، تنظم فصول خلال عطل المدارس لتعليم الكبار التعاليم الدينية . ومسجد « تايبي » هو المسجد الوحيد الذي يضطلع بتدريس التعاليم الدينية طوال العام . ويتلقى الطلبة الملتحقون بالفصول الدراسية أربع ساعات أسبوعيا في يومي السبت والأحد . ولكون القوانين في جمهورية الصين الوطنية مدنية ، يشكل في المسجد مجلس خاص برئاسة « الأهونج » لمحاكمة المخالفين محاكمة اسلامية .

ومن النشاطات البارزة التي تمارسها « جمعية مسلمي الصين » ، في « تيوان » في سبيل نشر الوعي الاسلامي ، اجراء اتصالات دائمة مع الزعماء المسلمين والجمعيات الاسلامية في مختلف أنحاء العالم ، وخاصة بلدان الشرق الأوسط وجنوب شرقي آسيا ، لتبادل وجهات النظر فيما بينهم بهدف التعرف الى القضايا الاسلامية والعمل على تسويتها في نطاق تضامني يرعى مصالح المسلمين ويعنى بشؤونهم وأحوالهم .. فالمسلمون الذين يقصدون مكة المكرمة في كل عام لتأدية فريضة الحج يمرون في طريق عودتهم الى بلادهم بعدد من البلدان الاسلامية للتشاور مع الزعماء المسلمين والجمعيات الاسلامية حول كل ما من شأنه جمع كلمة المسلمين وتوطيد عرى الدين فيما بينهم . هذا ويتم أكبر اتصال بين المسلمين في « تيوان » والمسلمين في البلدان الأخرى عن طريق الطلبة الذين يتلقون العلم فيها . ويعكف عدد كبير من هؤلاء الطلبة على دراسة اللغة العربية والدين ومواضيع أخرى في بعض الأقطار العربية كالمملكة العربية السعودية ، وليبيا ، ولبنان .

بيد أن هنالك صعوبات يواجهها المسلمون في تأدية واجباتهم الدينية في جزيرة « تيوان » ، من بينها تأدية فريضة الجمعة ، حيث أن هذا اليوم يعتبر يوما عاديا ، وليس يوم عطلة . وكذلك الأمر بالنسبة الى شهر رمضان والأعياد . وبما ان معظم المسلمين في المجتمع « التيواني » من الطبقة الوسطى ، فان مصادر دخلهم المحدودة تمكنهم من ممارسة تقاليدهم دون أي صعوبات . وثمة صعوبة أخرى يواجهها المسلمون هناك وهي تعقد الأمور سنة بعد أخرى حيال تحمل مهام الزعامة وأعبائها . فالزعماء الحاليون الذين تحملوا الأعباء لسنوات طويلة بلغوا من العمر عتيا . ويقول أحد زعماء المسلمين البارزين هناك ،ان عددا ضئيلا جدا ممن يدرسون حاليا خارج البلاد لديهم استعداد لتسلم زمام الأمر في قيادة الأمور الدينية في « تيوان » .

فبالرغم من كل ما هنالك من صعوبات ، فان جذور الاسلام ستظل ، باذن الله ، راسخة في أرض « تيوان » وغيرها من بقاع العالم .

والمسلمون هناك مخلصون لحكومة الصين الوطنية ويشعرون بأن مستقبلهم مرتبط بالتعاون معها . وبالرغم من انهم لا يستطيعون الاتصال بأخوانهم في الوطن الأم منذ خروجهم منها قبل حوالي عشرين سنة فانهم لا يزالون يتطلعون الى ذلك اليوم الذي يتم فيه هذا اللقاء . وبفضل دعوة التضامن الاسلامي ستظل عرى الاسلام راسخة مكينة تصون للمسلمين مكانتهم وتشد من أزرهم وتجمع كلمتهم متضامنين متحابين مستمسكين بالعروة الوثقى ومعتصمين جميعا بحبل الله المتين) ■

عيسى مسلم

تصوير : « راي كرانبورت »

(١) « أهونج — Ahong » لقب لرجل الدين في تيوان ، وهو لفظ مشتق من الكلمة الفارسية « أخوند — Akhund »

الإنسانُ وعِلمُ البيئَة

بقلم الدكتور فؤاد صروف

تاريخ الحياة على الأرض ، كان في لبابه ، تاريخ التفاعل بين الأحياء على تنوّعها وبين ما يحيط بها ، أي البيئة التي تعيش فيها . وقد كانت البيئة ذاتها العامل الأساسي في تطور الأشكال التي اتخذتها الأحياء النباتية والحيوانية ، على الزمن ، وتطوير طبائعها . بيد أن أثر الأحياء ذاتها ، في تبديل أحوال بيئتها ، كان في مقياس الزمن الأرضي ، أثرا ضعيفا نسبيا حتى زمن قريب . ولكن ، خلال المائة سنة الأخيرة أو أكثر قليلا ، صار في قدرة أحد أنواع هذه الأحياء ، أي الانسان ، أن يحدث تغييرا كبيرا في طبيعة البيئة الأرضية ، بما تراكم بين يديه من وسائل العلوم والعلوم الصناعية « التكنولوجيا » ، ثم ازدادت هذه القدرة ازديادا فاحشا في الخمس والعشرين السنة الأخيرة اذ صار من عواقب التقدم الصناعي الزاخر أن ينقذف في الهواء والماء ويتسرب الى التربة ، مواد كيمائية فتاكة ، يصنعها الانسان ، أو تنتج عن صناعته .

هذا التطور في الفكر العلمي الاجتماعي الحديث ، وما يلازمه من احساس بالقلق ، أخذ يستأثر بعناية عشرات من المنظمات العامة والمختصة ، فحفزها في العقد الأخير الى الاهتمام اهتماما عالمي النطاق « بعلم الايكولوجيا — Ecology » الذي نشأ في أواخر القرن الماضي ، ولكنه لم يبدأ في احتلال المنزلة التي تليق به بين علوم الأرض ، الا منذ نهاية النصف الأول من القرن الحالي .

وقبل أن نمضي في البحث ، نرى لزاما علينا أن نعرّف هذا العلم والمصطلحات التي يغلب ورودها في دراساته ففي هذا التعريف تنطوي مفاهيمه ومعانيه .

• « **ايكولوجيا — Ecology** » لفظ مركب من لفظين يونانيين ، احداهما « أويكوس » ومعناه بيت أو دار ، والثاني « لوغوس » وقد درجنا على تأديته بلفظ « مقال » أو « علم » . وتعريفه : فرع من فروع العلم يعنى بالعلاقات المتبادلة بين الأجسام الحية وبيئتها ، ونمطها وبخاصة ما يتبدّى منها ، في دورات طبيعية وفترات زمنية متعاقبة ، وبالتفاعل بين ضروب متباينة من الأحياء ، وتوزيعها الجغرافي ، والتغيّرات الطارئة عليها . أو هو مجمل العلاقات بين الأجسام الحية وبيئتها . فلنؤدّ اسم هذا العلم « ايكولوجيا » في اللغة العربية بقولنا : « علم البيئة » أو « علم أثر البيئة » كما أورده « ادوارد غالب » في موسوعته ، وأظن أن « علم البيئة » أفضل وأدق .

• « **البيئة أو المحيط — Environment** » ، اللفظ في صورتيه الانكليزية والفرنسية ، مشتق من فعل فرنسي الأصل ، معناه ما يحيط بشيء ما ، وبخاصة الضواحي التي تحيط بمدينة . ومعناه العلمي في نطاق علوم الحياة ، الأحوال والعوامل والقوى التي تؤثر أو تحدث تغييرا في الأحياء ونموها .. أو هو . مجموعة العوامل المناخية أو الحياتية المستقرة في التربة ، التي تؤثر في جسم حي أو جماعة من الأحياء في محيط معين ، وتقرّر شكلها ومصيرها . أما في علوم الاجتماع ، فالبيئة هي مجموعة الأحوال الاجتماعية والثقافية

(كالعادات والقوانين واللغة والدين والتنظيم السياسي والاقتصادي) التي تؤثر في حياة الفرد أو الجماعة .

• « **ايكوسيستم** — **Ecosystem** » ، جماعة من الأحياء المتباينة ، في علاقاتها بعضها ببعض ، وفي علاقاتها ببيئتها غير الحية . ويضربون في ذلك مثل غابة الصنوبر . فشجرة الصنوبر ، فرد في هذه الجماعة « غابة الصنوبر » جذورها منبتة في التراب ، تتعايش مع أنواع خاصة من الفطر ، ورؤوس هذه الجذور كالشعرات الدقيقة تفعل ، على لدانتها في تفتيت صفحات الصخور التي تلامسها ، ثم تموت ، فتأتيها أحياء دقيقة فتحلّها الى موادها الأولى ، فتحدث بذلك أنابيب شعرية دقيقة في التراب ، يسلكها الهواء والماء الى التربة فتهوّى وتسقى . وجذع الشجرة ذاتها مسرح لأنواع دقيقة من النبات والحيوان ، تطلب الغذاء في شقوق القشرة . أما الأغصان والورق « ابر الصنوبر » فجزء آخر من عالم الشجرة . فالعقاب النسارية (١) قد تبني عشها هناك ، والطائر المصلّب(٢) يفتح بمنقاره كيزانها لاستخراج البزر ، وتأوي اليها طيور أخرى للستر أو الفيء ، وتأتيها السناجيب من أجل الكيزان ، على نحو يختلف عن نحو المصلّب ويأمّها الخزّ(٣) ليصطاد السناجيب وتسقط ابر الصنوبر على الأرض وتتراكم . حتى تصير كالفراش الوثير ، يحمي التربة من الانجراف ويحفظ حرارتها وبعض رطوبتها . فشجرة الصنوبر جزء من الغابة ، ولها نظامها الخاص ، والغابة في افرادها ومجموعها تؤلف نظاما أكبر ، ويطلق على النظامين ، في الحالين لفظ « ايكوسيستم » ، ويصح أن نتخذ له في العربية تعبير : « وحدة بيئية » .

• « **كونسرفيشن** — **Conservation** » من فعل « كونسيرف « Conserve » من جذر لاتيني معناه « يحفظ » ، وهو أن تحفظ الشيء من الانحلال أو الأذى أو الضياع أو التبذير أو التبديد أو الهدر . وقد أطلق محرّفا قليلا بالعربية على صناعة حفظ الثمار في العلب ، وهو يعني في « علم البيئة » الحفاظ على الموارد الطبيعية ، كالغابات ، ومصايد الأسماك ، والحيوانات البرية ، والمياه ، والمعادن من الاستباحة والاستثمار المؤذي المبدّد لها ، أو هو الادارة المحكمة لمورد طبيعي ما كالماء ، لمنع استباحته أو استثماره استثمارا مبذّرا أو دماره أو اهماله أو تلوّثه ، أو هو فرع من فروع المعرفة يعنى بوضع الخطط وتنسيقها ، لتطبيق حقائق علم البيئة وغيره من العلوم التي لها أثر في صيانة الموارد الطبيعية أو الحفاظ عليها . وقد استعملنا لفظ « حفظ » في الفيزياء عند ترجمة قانون « حفظ الطاقة » ، فيصح أن نستعمل في علم البيئة هذه الألفاظ الثلاثة : « الحفظ ، الحفاظ على ، صيانة » ، مقرونا على الاضافة أو الجرّ ، بالطبيعة والموارد الطبيعية .

• « **بيوسفير** « **Biosphere** » هو ما يكوّن على الأرض غشاء من تراب وصخر وماء وهواء تستطيع الأحياء ، على تباينها ، أن تعيش فيه . وهو من كلمة « بيوس » اليونانية ومعناها حياة ، وكلمة « سفير » في الأصل اليوناني « سفايرا » ومعناها كرة . وقد درجنا فيما يتعلّق بكرة الأرض على استعمال لفظ « غلاف » محلّ لفظ « كرة » في هذا الصدد ، فنقول : « الغلاف الهوائي » مقابلا للفظ « أتموسفير » ، مع أن لفظ « أتمو » اليوناني معناه بخار . و « الغلاف الحجري أو الصخري » مقابلا للفظ « ليثو سفير » ، من كلمة « ليثو » اليونانية ومعناها « حجر » (ومنها كلمة ليثوغرافيا أي الطباعة على الحجر) . ثم هناك « الغلاف المائي » وهو مقابل لفظ « هيدروسفير » من لفظ « هيودور — Hudor » أي ماء . وعليه فلنا أن نعبر عن لفظ « بيوسفير » في العربية بقولنا « الغلاف الحياتي » . وقد ظفر هذا التعبير ، في صيغته الأعجمية ، بالاعتراف الدولي ، في مؤتمر اليونسكو عام ١٩٦٨ .

• « **المادة الحية** - **Living Substance** » و « الكتلة الحية « Biomass » قد يبدو انهما ليسا في حاجة الى شرح ، ولكنهما في الواقع يرتدان الى أصول فلكية جولوجية بيولوجية متغلغلة في تاريخ كوكب الأرض ، فيجب شرحهما في اطار « علم البيئة » ، ذلك بأن سطح الأرض لم يزل يتلقّى منذ ملايين السنين ، تيارات من الطاقة واصلة اليه من الفضاء ، وبخاصة من الشمس فتحدث فيه أفعالا شديدة ، وتغييرات معقدة في طبيعة المادة التي تكوّن منها هذا الغلاف . ومع أن عمر الأرض يقدّر باربعة بلايين(٤) الى خمسة بلايين سنة ، وقد لا يزيد على ستة بلايين ، فان مظاهر الحياة الأولى لم تبد عليها الا منذ بليونين ونصف بليون سنة الى ثلاثة بلايين سنة ، وكان ذلك في الغلاف المائي ، أي البحار ، ثم بدأ بعض الأحياء قبل نصف بليون سنة ، يصعد الى سطح اليابسة ، ومنذ ذلك الزمن صارت الأرض نفسها عرضة لتغييرات كبيرة ، وبدأت الأحياء تتغاير وتتباين ويطرد تعقد بنيتها بالتطور ، ويقدّر ، ما ظهر من « أنواع — Species » الحيوان والنبات والأحياء المجهرية بنحو ثلاثة ملايين خلال ذلك التطور . وكان للنباتات الخضر مكانة خاصة في تطوّر الحياة على الأرض ، لأنها أضحت قادرة على تركيب المواد العضوية من التراب والماء وثاني أوكسيد الكربون في الهواء ، بفعل ضوء الشمس ووساطة حبيبات « اليخضور - Chlorophyll » فيها .

كذلك نشأ « الغلاف الحياتي » شاملا الأحياء ومواطنها ، فهو في الواقع نتيجة التفاعل بين المواد الحية وغير الحية على سطح الأرض . ويرى العالم السوفييتي « فرنادسكي » أن « الغلاف الحياتي » يشتمل ثلاثة مقوّمات ، هي : المادة الحية أو مجمل الأحياء قاطبة ، والمادة المولّدة (بفتح اللام المشدّدة) من الأحياء (Biogenic) وهي تشمل الفحم على أنواعه والقار ، والغازات القابلة للاحتراق والنفط على الترجيح ، والبيت —Peat (مجموعة النباتات التي لم تستكمل كربنتها ، أي تحويلها الى كربون كالفحم الحجري) ، والدّبال أي الجزء العضوي من التربة ، والمواد المعدنية التي تكوّنت بفعل المشاركة بين الأحياء والطبيعة الهامدة ، كالغازات التي تتكون منها الطبقات السفلى للغلاف الهوائي (الجوّ) ، والصخور الراسية ، والمواد الصلصالية ، والماء . وبالاضافة الى ذلك وضع « فرنادسكي » نظرية « المادة الحية » ، فقال انها مجموع الأحياء التي سكنت كرة الأرض في زمن ما أو آخر ، وانها ثلاثة أقسام : الأول ، الكتلة النباتية الحية ، وهي تشمل جميع النباتات . والثاني ، الكتلة الحيوانية الحية ، وهي تضم جميع الحيوانات . والثالث ، الكتلة الجرثومية الحية ، وهي تحتوي أنواع

---

(١) Osqrey معجم الحيوان ، للمعلوف

(٢) Crossbill طائر مصلب المنقار وضعها أحمد فارس الشدياق

(٣) Pine marten معجم الحيوان ، للمعلوف

(٤) البليون يعدل في استعمالنا ألف مليون .

البكتيريا والفطر . ويؤخذ من الحسابات الحديثة، ان مجمل الكتلة الحية على سطح اليابسة كلها ، يعدل نحو ٣ × ١٠^١٢ أي نحو ٣٠ مليون مليون طن ، والكتلة الحيوانية الحية على اليابسة « zoobiomass » تقلّ في العادة عن واحد في المئة عن الكتلة النباتية الحية « Vegetational Biomass » . والكثرة الغالبة (من ٩٥ الى ٩٩،٥ في المائة) من الكتلة الحيوانية الحية يعود الى الحيوانات غير الفقارية ، وبخاصة ما كان منها في تربة المروج وعلى وجه أخص في تربة المزارع القديمة التي بلغت أعلى شأن من الرعاية والنمو . أما الكتلة الحية للمجموعات الشجرية ، فتكون الجزء الأكبر من مجمل الكتلة الحية على اليابسة . بيد أن النباتات العشبية ، دون الشجرية ، هي التي تسهم أكبر اسهام في خصب التربة . فالنباتات العشبية تتفاعل مع الحيوانات غير الفقارية والأحياء الدقيقة ، فتستحثّ تركيب مقادير ضخمة من الدبال في أخصب أنواع التربة في المروج والسهوب وسهول الفيضان . فتثبيت وتجميع مقادير كبيرة من الطاقة في المادة العضوية ، هما أخطر مظهر من مظاهر الحياة على الأرض . وهذه الطاقة الكامنة ، تستعمل فيما بعد في سلسلة متعاقبة الحلقات من الاحياء في التفاعلات الكيمائية والكيمائية الحياتية .

. **« السلسلة الغذائية — Food Chain »** . تستمد الأحياء النباتية الخضراء على الغالب، والبلانكتون والألجي (الأشنيّات) في البحار طاقتها من الشمس ، وعليها تعتمد في احداث فعل التركيب الضوئي ، فتصنع عناصر الغذاء الأساسية التي تقيم أود الحياة ، ثم تنتقل هذه الطاقة المختزنة في هذه المواد المطّردة تطورا في تركيبها ، الى الأحياء التي تستهلكها ، فثمة حيوانات تأكل النبات الأخضر تعرف باسم « آكلة العشب » ، وحيوانات تأكل لحم آكلة العشب ، وتعرف باسم « اللواحم » ، واللواحم الكبيرة تأكل اللواحم الصغيرة وهكذا . وهذه هي حلقات « السلسلة الغذائية » . فالمفهوم الأساسي في « علم البيئة » يشمل دورة رباعية المراحل ، هي :

. **المادة غير الحية وهي** أشعة الشمس ، الماء ، الأوكسجين ، ثاني أوكسيد الكربون ، والمركبات العضوية وغيرها من المواد الغذائية التي تركبها النباتات وتستعملها في نموّها .

. **النباتات المنتجة** (بالتاء المكسورة) ، وهي متباينة في حجمها تباينا كبيرا من المجهرية مثل « البلانكتون » النباتي ، العائم في المياه (البحار خاصة) الى الحشائش والأعشاب ، الى الجنبات والأشجار الكبار والصغار ، فهي التي تحدث فعل التركيب الضوئي ، فتصنع المواد الكربوهيدراتية (السكّر أولا فما يليه) التي تحتاج اليها النباتات نفسها والأحياء الأخرى في وحدتها البيئية .

. **الأحياء المستهلكة** (باللام المكسورة) وهي التي تغتذي النباتات المنتجة ، ثم تغتذي بها اللواحم . فالبقر والغنم تغتذي بالنبات ، فهي مستهلكة من الدرجة الأولى ، أما الذئب وغيره من اللواحم فمستهلكة من الدرجة الثانية .

. **الأحياء الحالّة أو المحلّلة للأجسام العضوية** وهي كائنات دقيقة مجهرية على الغالب كالبكتيريا وأنواع الفطر والحشرات ، تسطو على أجسام الأحياء المنتجة والمستهلكة على السواء في الأحوال المؤاتية ، فتحلّلها أو تحلّها الى مقوّماتها الأصيلة ، فتردّ المركبات الكيمائية التي في أجسامها الى الوحدة البيئية ومن ثم تعيد الأحياء المنتجة استعمالها في دورة حيوية بيئية جديدة .

فتركيب المواد العضوية في النباتات على سطح الأرض ، بفعل التركيب الضوئي يوازي تحويل قدر هائل من الطاقة الشمسية الى طاقة كيمائية ، واذا أخذنا بحساب اجراء العالم دوفينيو (Duvigneau) في عام ١٩٦٧ ، فان مقدار هذه الطاقة المحوّلة يزيد على مليوني مليون مليون سعر حراري . أما النباتات البحرية ، التي تؤدي الفعل ذاته على طريقتها ، فانها تثبّت في المواد التي تركبها مقدارا مماثلا ، أو أكبر ، من الأسعار الحرارية .

ان « الغلاف الحياتي » نظام أرضيّ النطاق مؤلف من أنواع لا تحصى من الأحياء النباتية والحيوانية ، المتباينة تباينا لا يكاد يحدّ ، في أحجامها وطبائعها ، ومنازلها ووظائفها في وحداتها البيئية ، ولكنه نظام محكم التوازن والتماسك والتنسيق ، في تفاعل هذه الأحياء بعضها مع بعض ، بين كرّ وفرّ ، وتجاذب وتنافر ، وتركيب وحلّ ، وحياة وموت ، واندثار وانبثاق حتى اذا فقدت احدى حلقاته اضطرب توازنه ، فتعيده الطبيعة نفسها ، بأفعالها العجيبة ، الى سويته ، مستعيضة بجديد عن قديم مندثر ، وان استغرق ذلك زمنا ما . ولكن منذ أن صار في قدرة الانسان ، أن يؤثر في الغلاف الحياتي ، تأثيرا عميقا واسع المدى ، ينافي ، في بعضه على الأقل التوازن الطبيعي في الدورة الحياتية العامة المتماسكة ، غدت الطبيعة عاجزة ، في مهلة كافية ، عن اعادة التوازن الى نصابه السويّ ، وبخاصة لأن التقدم الصناعيّ الزاخر وتزايد مطالب السكان المتفاقم ، يجعلان التردّي في طبيعة الغلاف الحيوي فعلا متزايد الشمول والأثر والسرعة .

ومن هنا جاء الاهتمام ببحث أثر الانسان في الغلاف الحياتي في مؤتمر « الانسان والغلاف الحياتي — Biosphere » الذي عقدته اليونسكو ، فاتفق الرأي بين العلماء ، على ما للانسان من عظم الأثر كعامل في تغيير الغلاف الحياتي ، حفاظا على سلامته أو اشاعة للاضطراب في ميزانه . وقد كان للانسان أثر في الحضارات القديمة ، في احداث تغيير في بيئته المحلية ، باجتثاث أشجار الغابات ، والمبالغة في القنص والصيد ، وابادة بعض الأنواع . ولكن علماء المؤتمر حرصوا حرصا شديدا على تبيين ما للحضارة الصناعية المعاصرة من أثر متزايد بالغ الأذى في غلاف الأرض الحياتي ، ينبغي التعاون على ردّه واصلاح عواقبه ، بالدراسات والبحوث ، والتشريع الوطني ، والتعاقد والتعاون العالميين ، « فالتغييرات التي استحدثها الانسان في مجمل الغلاف الحياتي ، لا تنحصر داخل الحدود الوطنية والاقليمية ، ومشكلاتها لا تحلّ على أساس محلي أو وطني أو اقليمي ، بل تقتضي عناية عالمية النطاق . » وقد شمل تقرير المؤتمر عشرين توصية مفصلة جاء في فقرتها الأخيرة « ان الآراء والنتائج والتوصيات التي انتهى اليها المؤتمر انما ترسم بعض الخطوات وحسب ، التي ينبغي للانسان أن يخطوها ، ليدير على وجه أفضل وأجدى علاقاته البيئية بالطبيعة ، وليس في وسع انسان أو شعب أن يسلك وحده هذا الطريق ■

أخبار الكتب

• من التراجم الجديدة التي صدرت « الطبري » للدكتور أحمد محمد الحوفي ، وقد نشرته مكتبة نهضة مصر ، « وشخصيات من الأدب المعاصر » للأستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، وقد نشرته دار الضاد في حلب ، و « كتب وأدباء » للاستاذين وليم الخازن ونبيه اليان وفيه يتناول المؤلفان نحو أربعين أديبا بالدرس والترجمة ، وقد صدر عن المكتبة العصرية في صيدا .

• يعد الأستاذ عجاج نويهض طبعة ثالثة من كتابه المشهور « حاضر العالم الاسلامي » الذي ترجمه عن لوثروب ستودارد وعلّق عليه العلامة الراحل الأمير شكيب ارسلان تعليقات ضافية بصيرة . ويعكف الأستاذ نويهض على تزويد الطبعة الجديدة بفصل جديد يشتمل على ذكرياته عن الأمير شكيب وما عرفه عنه ومنه ما لم يقع عليه الذين ترجموا له من قبل وهم الأساتذة محمد علي الطاهر والدكتور أحمد الشرباصي والدكتور سامي الدهان وسواهم .

• وضع الأستاذ الشيخ أحمد الباقوري بعنوان « مع القرآن » تفسيراً جديدا للقرآن الكريم وقد نشرته مكتبة الآداب ومطبعتها .

• صدرت مؤخرا طبعة ثانية مزيدة من « الموسوعة الطبية الحديثة » في ستة أجزاء . وقد رأس تحريرها الدكتوران أحمد عمار ومحمد أحمد سليمان وراجع مادتها العلمية الدكاترة ابراهيم أبو النجا وعيسى حمدي المازني ولويس دوس ، ونشرتها مؤسسة سجل العرب .

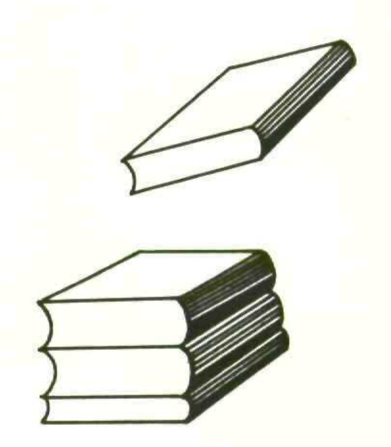
• من كتب التراث العربي التي صدرت أخيرا « السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية » لأبي العباس أحمد بن تيمية وقد حققه الأستاذان محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور وقد صدر عن دار الشعب ، و « صور المنطق والكلام » للامام السيوطي وقد صدر منه الجزءان الأول والثاني بتحقيق الدكتور علي سامي النشار والسيدة سعاد علي عبد الرزاق ، وقام بنشرهما مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، و « كتاب الملل والنحل » لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي وقد حققه الدكتور ألبير نصري نادر ، وقد صدر عن دار المشرق ببيروت ، والجزء الأول من « ديوان أبي الطيب المتنبي » بشرح أبي الفتح عثمان بن جني وقد حققه الدكتور صفاء خلوصي ، ونشرته وزارة التربية والتعليم العراقية ، و « كتاب التوحيد » للشيخ علم الهدى أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي وقد حققه الدكتور فتح الله الخطيب ، ونشرته دار المشرق ببيروت ، و « درر العقد الفريد » وهو مختصر لكتاب ابن عبد ربه ، وقد صدر عن مكتبة الحياة في عمان .

• صدر للأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة بالرياض ، كتاب عنوانه « ٥ أيام في ماليزيا » روى فيه ما شاهده في رحلة قام بها الى تلك البلاد .

• من الدواوين الجديدة التي صدرت مؤخرا « ديوان السياب » ويتضمن المجموعة الكاملة لشعر المرحوم بدر شاكر السيّاب ، وقد نشرته دار العودة ، و « معركة بلا راية » للأستاذ غازي عبد الرحمن القصيبي ، وقد صدر عن دار الكتب في بيروت ، و « أصوات في سمع الزمان المقهور » للأستاذ مروان الخاطر ، وقد صدر عن دار الأجيال بدمشق ، و « نور ونار » للشاعر المهجري الأستاذ زكي قنصل ، وقد صدر عن مجلة الثقافة بدمشق ، و « غنيت في مأتمي » للشاعر الكبير الأستاذ عمر أبو ريشة ، وقد نشرته دار العودة ، و « لغة الأبراج الطينية » للأستاذ حميد سعيد ، وقد صدر عن دار الآداب .

• من الدراسات الأدبية الجديدة كتاب « في اللغة والأدب » للعلامة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، وقد صدر في سلسلة أقرأ لدار المعارف ، و « منهج البحث الأدبي » للدكتور علي جواد الطاهر ، وقد صدر عن مطبعة العاني ببغداد ، و « قصص وخواطر » للمرحوم الأديب السوداني الأستاذ معاوية نور ، وقد صدر عن جامعة الخرطوم ، و « مذكرات ثقافة تحتضر » للأستاذ غالي شكري ، وقد صدر عن دار الطليعة ، و « لغة البشر » وقد ألفه ماريوبي وترجمه الدكتور صلاح العربي ، ونشرته الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

• من الكتب الاسلامية الجديدة التي صدرت مؤخرا « الاسلام وقضايانا المعاصرة » للأستاذ أحمد موسى سالم ، وقد نشرته مكتبة القاهرة الحديثة ، و « المجاهدون في الله » للشيخ توفيق



محمد سبع وقدم له الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، وصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

• من المؤلفات التي تبحث في الأدب الروائي صدرت المجموعة التالية : « عندما ترفع الستار » وهو مجموعة مسرحيات عالمية ملخصة ترجمها الأستاذ حامد عبد العزيز ، وقد نشرتها دار الكتاب الجديد . و « الوميض » وهو مجموعة أقاصيص للأستاذ حيدر حيدر ، وقد صدرت عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق . و « الفجر الجديد » وهو مجموعة أقاصيص للأستاذ محمد ياسر شرف ، وقد صدرت عن مطبعة الأندلس في حمص ، و « تواضعت فظفرت » وهي مسرحية لأوليفر جولد سميث ترجمها الأستاذ علي زكريا الأنصاري وراجعها الدكتور محمد اسماعيل موافي ، وقد صدرت عن وزارة الارشاد الكويتية ، ورواية « رماد لا تذروه الرياح » للأستاذ سليمان كامل ، وقد صدرت عن دار اليقظة العربية ، ورواية « عيون ظالمة » للأديبة لوسي يعقوب ، وقدّم لها الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، و « الضياع » وهي رواية للأستاذ فتحي الرملي ، نشرتها دار الطباعة الحديثة بالقاهرة ، و « ينداح الطوفان » رواية للأستاذ نبيل سليمان صدرت عن دار الأجيال بدمشق ، و « بيتون بليس » لروجر فولر وترجمة الأديبة هدى ادريس وقد نشرت عن دار الكتاب الجديد ، ومسرحية « صبيحة النهار » للأديب العراقي الأستاذ عبد المجيد لطفي وقد صدرت عن مطبعة العربي بالنجف ، و « مدرسة الزوجات » ، و « نقد مدرسة الزوجات » و « ارتجالية فرساي » وهي مختارات من موليير ترجمها في مجلد واحد الدكتور محمد القصاص ونشرتها وزارة الارشاد الكويتية . كما صدرت مجموعات الأقاصيص التالية « الأرض حبيبتي » للأديب المغربي الأستاذ عبد الكريم غلاب وقد صدرت عن دار الآداب ، و « صور من الحياة » للأستاذ ضياء سعيد وقد صدرت عن المطبعة الحيدرية بالنجف ، و « السقف » للأستاذ محمد ابراهيم بوعلو وتقديم الأستاذ أحمد السطاتي ونشرتها دار النشر المغربية ، و « فارس مدينة القنطرة » للدكتور عبد السلام العجيلي وقد نشرتها دار الآداب ، و « رحلة الخفاش » للأستاذ محمد رؤوف بشير وقد صدرت عن دار الآداب .

• أصدر الأستاذ ابراهيم المصري دراسة تحليلية نفسية عنوانها « قلب المرأة » وقد نشرتها دار الهلال .

• من الكتب العلمية والفنية التي صدرت أخيرا « فن العمارة والخرسانة المسلحة » للدكتور علي رأفت وقد صدر عن مؤسسة الحلبي ، و « المرشد في زراعة الأشجار والخضار » للأستاذ عبد الحميد عباس وقد نشرته دار اليقظة العربية ، و « أطلس ثدييات العالم » للدكتور حسين فرج زين الدين وقد صدر عن دار الشعب ، وطبعه ، ثانية من كتاب « التحميض – الطبع – التكبير » للأستاذ عبد الفتاح رياض وقد صدر عن دار النهضة .

• مجموعتان عنوانهما « أندلسيات » صدرتا للدكتور عبد الرحمن الحجي عن دار الارشاد .

• دراسة عن « الضحك » أصدرها الأستاذ غالب هلسا عن دار العودة .

كما صدرت للأستاذ ابراهيم شعراوي مجموعة من قصص الأطفال هي « رحلة ذئب » و « أبو زيد الهلالي » و « الهدايا المسحورة » و « مغامرات ثعلب » و « الكلب والحمار » و « التفاحات المغرّدة » ، وقد نشرت جميعها عن دار الشعب .

• كتابان في الارشاد الصحي صدرا أخيرا هما « النفس والبدن » للدكتور ابراهيم فهيم ، وقد ظهر في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف ، و « الصحة والوقاية » للدكتور نبيه الغبرة ، وقد صدر عن المكتب الاسلامي للطباعة والنشر في بيروت .

• صدرت مؤخرا ثلاثة كتب في علم المكتبات هي « موجز التصنيف العشري » تاليف ملفل ديوي وترجمة الدكتورين محمود الشنيطي وأحمد كابش ، و « قواعد الفهرسة الوصفية » للدكتور الشنيطي والأستاذ محمد المهدي ، و « المكتبة المدرسية » تأليف لوسيل فارجو وترجمة الدكتور السيد العزاوي ومراجعة الدكتور أحمد أنور عمر وتقديم الدكتور محمود الشنيطي ، وقد صدرت الكتب الثلاثة عن دار المعرفة .

• ترجم الأستاذ محمد برجاوي كتابا عن « الصحافة » من تأليف بيان البير ، وقد ظهر في منشورات عويدات .

• اشترك الدكتور يوسف خليل يوسف والأستاذان حليم ابراهيم جريس واجلال السباعي في اخراج « أطلس الوطن العربي : الأرض والموارد والسكان » ، وقد نشرته مكتبة غريب بالقاهرة.

• أصدر الدكتور يوسف عبد الوهاب نعمة الله ، وكيل كلية التجارة في جامعة الرياض ، مؤلفا جديدا عنوانه « النقود في النشاط الاقتصادي » .

• صدر للعلامة حمد الجاسر مؤخرا الطبعة الأولى من مؤلفه التاريخي « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » ضمن سلسلة « نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب » .

• أصدر الدكتور عبد الرحمن صادق الشريف ، من جامعة الرياض ، مؤلفا جديدا عنوانه « منطقة عنيزة » ، وهو دراسة اقليمية شاملة تتناول البنية الجيولوجية ، والتضاريس الجغرافية والموارد الزراعية ، والخدمات الاجتماعية في المنطقة .

• صدر للأستاذ محمد أمين ساعاتي أخيرا مؤلفان جديدان هما : « قصص مختارة » و « الحكم والتحكيم لكرة القدم » .. وكلاهما من منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر في بيروت . ■

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بالمؤلفات الجديدة التالية :

• « محمد فريد أبو حديد .. كاتب الرواية » للدكتور منصور ابراهيم الحازمي ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب في جامعة الرياض .

• « الأمثال » لأبي فيد مؤرج بن عمرو السّدوسي ، حققه وقدم له الدكتور أحمد محمد الضبيب ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب في جامعة الرياض .

• « محمد الفاضل ابن عاشور .. فقيد تونس » وقد صدر عن دار الثقافة – ابن رشيق – التونسية بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته ■



مشهد لمعرض الزيت المتنقل التابع لأرامكو بعد افتتاحه في منطقة حايل بالمملكة العربية السعودية.

راجع مقال «معرض صناعة الزيت» تصوير: «أحمد المنتاخ»



جانب من معمل تحلية مياه البحر في جدة..
راجع مقال «مشروع تحلية مياه البحر في جدة»
تصوير: "علي محمد خليفة"